بسم الله الرحمن الرحيم



عقيدة السلف الصالح في الإيمان بالأسماء والصفات

أ/ ريم عبد الفتاح

المشرفة العامة على أكاديمية / همتى رُقي أُمتي

مفرغ من دروس الأستاذة الفضلى أمة العزيز/ ريم عبد الفتاح

جزاها الله عنا خير الجزاء

لسماع الدرس صوتيًا ادخلي لقناة حياة القلوب (للنساء فقط)

https://t.me/hematyrokyomaty

كلمة تعريفية بكيفية دراسة علم العقيدة

□ مقدمة:

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله،
ثم أما بعد،
أسأل الله عز وجل أن يفتح لنا وأن ييسر لنا أمرنا وأن يعفو عنا. اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، ونعوذ بك من علمٍ لا ينفع.
اللهم إنا نسألك علماً يُباشر قلوبنا فتخشع وتُنيب وتُخبت لك يا رب العالمين. اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما. اللهم اهدنا لما أُختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاءُ الى صراط مستقيم. اللهم اهدنا إلى الصراط المستقيم يا رب العالمين.

هذه كلمة قصيرة عن أهمية دراسة العقيدة، أسأل الله -عز وجل- أن يرزقنا عقيدة راسخة ثابتة. أسأل الله -عز وجل- أن يقوي الإيمان في قلوبنا. اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبيك ﷺ في أعلى جنة الخلد.

♦هذه هي الدورة العلمية الثانية، وقد سبقتها دورة علمية أولى، في هذا الدرس سوف أتحدث عن:

□ أهمية دراسة العقيدة والاستمرار في دراستها.

- المنهجية الصحيحة لدراسة العقيدة.
- كيف يهتم طَلَبة العلم بدراسة العقيدة وكيفية السير في ذلك.
- تصحيح مفهوم الانتقال بين دراسة العلوم المختلفة.
- توضيح ما تم دراسته في الدورة الأولى.

♦أهمية دراسة العقيدة والاستمرار في دراستها:

إن دراسة العقيدة والاهتمام بتعَلُّمها من أَكَدَّ المهمات التي يجب أن يحرص عليها طالب العلم؛ فلابد أن يتفقد طالب العلم دوماً قلبه وعقيدته، فلا يكتفى طالب العلم بدراسة كتاب واحد فقط في العقيدة؛ ثم ينتقل إلى دراسة علم.

إن دراسة العقيدة مستمرة ، لابد أن يظل طالب العلم في دراسة العقيدة، ودراسة أسماء الله الحُسنى وكيفية التعبد لله عز وجل بأسمائه وصفاته؛ كذلك يجب دراسة أعمال القلوب مثل التوكل على الله والإخلاص والإخبات؛ حتى يكون قلبك دائماً متوكلاً راجياً خائفاً من الله -عز وجل-.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (والله إني لأُجدد إسلامي منذ أربعين سنة، وما أظن أني إلى الآن أسلمت إسلاما جيداً)

هذا من قمة تواضع شيخ الإسلام، فهو يتهم نفسه بالتقصير في العبادة، بالرغم من تعبده أربعين سنة، إلا أنه يُجدد إسلامه في كل مرة خلال تلك الفترة، ومع ذلك يظن أنه لم

يُسلم إسلاما جيداً؛ لأن لا إله إلا الله لها شروط ولا بد فيها من القبول والإخلاص والانقياد.

فإذا قال العبد لا إله إلا الله من قلبه فعلاً وصدق فيها؛ سيُؤدي به هذا إلى كل عمل صالح، مما يجعله يُؤثر الآخرة على الدنيا، فَيجتهد في كل ما يُرضي الله -عز وجل-.

قول لا إله إلا الله له شروط من القبول والإخلاص والصدق والانقياد والمحبة، وقد سبق شرحها في التسجيل رقم)٧(تقريباً في دورة العقيدة الأولى، ولتحقيق لا إله إلا الله يجب العمل والمجاهدة والانقياد لتنفيذ شرع الله -عز وجل- وعدم إدخال العقل أبداً مع شرعه سبحانه وتعالى.

لابد من الإيمان بلا إله إلا الله قولًا وعملًا، حتى يشعر العبد بصدق محبة الله -عز و جل- فَيفعل جميع الطاعات ولا يتوانى عن طاعة ربه، إذا عمل العبد بلا إله إلا الله ستؤدي به إلى العلم، قال تعالى:

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} [محمد: ١٩]

وقد بَوبَ البخاري باب العلم قبل القول والعمل، فيجب على الإنسان أن يتعلم {فَاعْلَمْ} لأن الله -عز وجل- أمر العبد أن يتعلم {أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} لأنها ليست كلمة هينة، لذلك قال رسول الله ﷺ "من قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة".

كلمة لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد التي بدونها لا يُقبل قول ولا عمل، والتفريط فيها هو سببٌ من أسباب إحباط العمل، والعمل بها مفتاح لدخول الجنة، فلا دخول للجنة بدونها.

من قال لا إله إلا الله صادقًا من قلبه مُخلصًا لله وحده، وأدى حقها بفعل ما أمر الله، وترك ما حرم الله، ومات على ذلك دخل الجنة، لكننا مازلنا نقولها فقط باللسان، ولم نصل إلى درجة المحبة التامة لله-عز وجل-

وليسأل العبد نفسه؛ هل وصل إلى درجة الإخلاص والانقياد التام لله؟ هل حقق الصدق التام مع الله؟ هل يشعر حقاً أنه يُؤثرالآخرة على الدنيا ويُضحي في سبيل مرضاة الله -عز وجل-؟

نحن مازلنا مُذبذبين بين السير في طريق الله -عز وجل- وإيثار الدنيا بشهواتها والانفتاح على المجتمع، فإذا أراد العبد السير في طريق الله والاجتهاد في السعي للآخرة؛ وجد العبد كل من حوله يدفعونه للتفكير في الدنيا والحرص عليها، نسأل الله -عز وجل- أن يعفو عنا.

لذلك وجب الاستمرار في دراسة العقيدة، ومراقبة عمل القلب أثناء سيره في الطريق، ولا يكتفي العبد كما ذكرت بدراسة كتاب واحد فقط في العقيدة ثم ينتقل إلى دراسة علم آخر.

قال رسول الله ﷺ "الشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ" ربما يقع الإنسان في شرك المحبة وهو لا يعلم؛ قد يحب إنسان أكثر من حبه لله -عز وجل- وقد يقع في شرك الخوف حين يخاف من أحد أكثر من خوفه من الله، وقد يقع الإنسان في شرك التوكل حين يتوكل أو يعتمد بقلبه على إنسان مثله في أي أمر من أمور الدنيا أكثر من اعتماده على الله سبحانه وتعالي.

ولا يستبعد المرء نفسه عن الوقوع في مثل هذا الشرك الخفي، فهناك أمور بسيطة جداً في حياة الإنسان إذا أمعن النظر فيها ودقق، لوجد فيها من الشرك الخفي ما يجب الإقلاع عنه.
وكان النبي ﷺ يقول هذا الدعاء ثلاثة مرات صباحاً ومساءاً "اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم"

وسُمِّيَ شِركًا خَفيًّا؛ لِأنَّه يَكونُ غَيرَ ظاهِرٍ، بل يَكونُ في خَفايا النَّفسِ البَشَريَّةِ، ولا يَعلَمُه إلَّا اللهُ سُبحانَه وتَعالى، فالإنسانَ قد يَخرُجُ مِنَ الإيمانِ إلى الكُفرِ أو الشِّركِ وهو لا يَشعُرُ، ويَفرَحُ بنَظَرِ النَّاسِ إلى عَمَلِه دونَ مُراعاةٍ لِنَظَرِ اللهِ، ودونَ قَصدِ وَجهِ اللهِ بالأعمالِ، فإذا عَمِلَ العمل لِيعلَمَ النَّاسُ فيه الخَيرَ ويُكرِموه عليه؛ فهذا هو الرِّياءُ المَنهيُّ عنه.
قال رسول الله ﷺ " إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، "

فكم من عملٍ فعلناه من أجل مرضاة الناس ولم نُخلص النيةَ لله وأردنا به الدنيا؟

لذلك وجب علينا تصحيح الأمر بأن دراسة العقيدة لا تتعلق بدراسة كتاب أو مُجلدات في العقيدة وانتهى الأمر؛ بل إن العقيدة أمر قلبي لابد أن يتفقده الإنسان ما دامَ حياً.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول والله إني لأصحح إسلامي منذ أربعين سنة وما أظن أني إلى الآن أسلمت إسلاماً جيداً؛ فكم نحتاج نحن إلى المُجاهدة والتعلم والمثابرة؟

مكث رسول الله ﷺ يدعو أصحابه إلى التوحيد ثلاثة عشرة عاماً، ولم يشق عليهم في بداية الأمر بتعليم الحلال والحرام، لذا رسخ عند الصحابة عقيدة ثابتة، فقد باعوا الدنيا من أجل مرضاة الله وسعياً للآخرة؛ ترسخ فيهم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله؛ والتضحية في سبيل الدين.

وهكذا قامت الدعوة إلى الله تعالى على أصول راسخة، وعقيدة ثابتة في مناهج الأنبياء في الدعوة عامة واكتمل تمامها في دعوة النبي ﷺ خاصة.

فما من نبي إلا وقال لقومه، {اعْبُدُوا اللَّهَ} [المائدة: ٧٢] أمرهم بعبادة الله -عز وجل- حقاً، فَالعبادة لابد أن يتحقق فيها كمال الذُل مع كمال المحبة، فانظر إلى صلاتك وأسأل نفسك: هل فيها ذل لله -عز وجل- أم فيها غفلة؟ فكثيراً ما يخرج العبد من الصلاة ولا يعرف كم صلى.

أسأل الله -عز وجل- أن يعفو عنا ويغفر لنا تقصيرنا في الصلاة.

فإذا تأملت جميع عباداتك، تجد أن فيها تقصيراً شديداً ونحن ما خلقنا إلا للعبادة، قال الله تعالى، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]

العقيدة سوف تساعدك على تصحيح عبادتك إذا كان فيها تقصير، وسوف تُعينك على المجاهدة والذُل والانكسار لله -عز وجل- وابتغاء مرضاته.

وقد علق شيخ الإسلام ابن تيمية على حديث النبي ﷺ "يُصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسع وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر، ثم يقال: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا يا رب. فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل ويقول: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة. وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيُخرج له بطاقة فيها: (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله) فيقول: يا رب وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"

فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على هذا الرجل:
(النجاسة عارضة والدافع لها قوي) أي أن النجاسة من الذنوب والسيئات عارضة والدافع لها قوي وهو بطاقة (لا إله إلا الله)

يُقصد بهذا، إنه إذا وُجِدَ التوحيد كاملاً، حينئذ مُنع العبد من دخول النار، فمن يُحقق كلمة التوحيد من قلبه، ويُخرج منه كل ما سوى الله تعالى محبة وتعظيمًا وإجلالاً ومهابة وخشية وتوكلاً، أي أنه أتى بالأعمال القلبية كلها، حينئذ دخل الجنة.

كما قال النبي ﷺ "من قال لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة" فالشرط هنا أن تكون من القلب، أي في قلبه إخلاص ومحبة وإجلال لله -عز وجل- إلى أن وفقه الله لحُسن خاتمة، وهذه لا

يملكها ولا يَعرفها أحد، لأنه لا يُوفق إليها إلا من وفقه الله - عز وجل-.

إن حُسن الخاتمة ليست بكثرة الطاعات والأعمال؛ وإنما هو رزق يكتبه الله لمن يشاء من عباده عندما يشهد الله -عز وجل- صدق الإخلاص في قلبه، فيوفقهُ الله في أواخر عمره لِطاعة ولعمل صالح يُختم به عمله قبل موته.

سبحان الله! كان إبليس أطوع مَن في الجِنّ، وكان أزهدهم حتى جعله الله مع الملائكة لشدة اجتهاده في الطاعة لله -عز وجل- لكن ما الذي أخرجه من هذا بعد أن كان مع الملائكة؟! ما الذي أخرجه من عِز الطاعة إلى ذُل المعصية؟ ما الذي أخرجه من الجنة؟! الكِبر.

{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢]

الكِبر آفة و مرض قلبي خطير، سبحان الله! أفضى هذا الكِبر بإبليس إلى سوء الخاتمة، وإلى النار، فالأمر ليس بكثرة الطاعات منه لأن يتعهد العبد قلبه دائماً، ويسأل نفسه عن حال قلبه إذا كان هذا القلب مخلصاً لله -عز وجل- وقلب سليم، أم قلب به مرض من عُجبٍ ورياءٍ و كِبرٍ وما إلى ذلك.

قال تعالى، {يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَال ٌوَلَا بَنُونَ} {إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْب ٍسَلِيم] {ِسُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٨٨-٨٩]

ربك ما يريد منك إلا قلبك، فَتعهد قلبك،

فإن القلب السليم، هو القلب السليم في علاقته بالله -عز وجل- فلا يفعل العمل إلا إخلاصا لله -عز وجل- وابتغاء مرضاته، دون رياء، سليم في علاقته بالناس لا يحمل غِلاً ولا حقداً ولا كراهية ولا ضغينة لأحد.

(كان النبيُّ ﷺ جالساً مع أصحابه في المسجد فقال لهم: يدخل عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة! فدخلَ رجلٌ من الأنصارِ تقطرُ لحيته ماءً من أثر الوضوء، فلما كان الغد، قال النبيُّ ﷺ: يطلعُ عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة! فدخلَ الأنصاريُّ ذاته الذي دخل في اليوم الأول، ولما كان اليوم الثالث، قال النبيُّ ﷺ: يطلعُ عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة! فإذا الأنصاري نفسه يدخلُ المسجد!

فلما انفضَّ المجلس، قامَ عبدُ الله بن عمرو بن العاص إلى الأنصاريِّ وقال له:

لقد تخاصمتُ مع أبي، وأقسمتُ أن لا أدخلَ عليه ثلاثة أيام، فإن رأيتَ أن تستضيفني عندكَ حتى تمضي هذه الأيام!

فقال له الأنصاري: أهلاً ومرحباً.

فمكثَ عنده عبد الله ثلاثة أيام فلم يَرَهُ يقوم من الليل شيئاً، وليس له في النهار زيادة عبادات عما كان يفعله الصحابة، غير أنه إذا استيقظَ في الليلِ ذكرَ الله في فِراشه حتى يُؤذِّن المُؤذِّن لصلاةِ الفجر فيقوم فيُصلِّي!

ولمَّا انقضتْ الأيام الثلاثة، وكادَ عبد الله يستصغرَ عمل الأنصاري، قال له: لم يكُنْ بيني وبين أبي هجرٌ ولا خُصومة، غير أن النبيَّ ﷺ قال ثلاث مرات يطلع عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة، فكنتَ أنتَ في الثلاث، فأردتُ أن أعرفَ ما تفعل حتى نلتها!

فقال الأنصاريُّ: ما هو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجدُ في نفسي لأحدٍ من المُسلمين غِشاً، ولا حسداً ولا كراهيةً لأحد من المسلمين على خير أعطاه الله إياه)

وقد يقول قائلاً بناءاً على هذا الحديث: سوف أُنظف قلبي من الحقد والضغينة والرياء ولكن سوف أُقلل من العبادات.

ليعلم كُلا منا أن العِباد درجات عند الله، وأن والجنة درجات، وما بين كل درجة ودرجة ما بين السماء والأرض، وكلما اجتهدت، رُفعت درجتك في الجنة.

ولأن البعض يفهم الأحاديث فِهماً مبتوراً، وجب علينا توضيح الأمر، فأحياناً عندما يقوم الشُراح بتوضيح الأحاديث، يُسئ البعض فِهم معانيها، فمثلاً يستند البعض إلى الحديث السابق، في تطهير القلب وأداء الفرائض لدخول الجنة.

لكن الجنة درجات على حسب عملك،
فهل يتساوى من طَهَرَ قلبه تماماً ولم يحمل غِلاً ولا حقداً ولا كراهيةً لأحد من المسلمين وأخلص عمله لله -عز وجل-
واجتهدَ في الطاعات وفي قيام الليل والدعاء والصدقة وطلب العلم؛ مع من طهر قلبه وأدى الفرائض فقط؟!

لا لن يتساوى، "إن في الجنّة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض"
ما تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت عليهم لم يذكروا الله فيها؛ فيقولون يا ليتنا ذكرنا الله في هذه الساعة التي مرت دون ذكره.

سبحان الله! ويكون الرجل في درجة من درجات الجنة ويتمنى لو أنه اجتهد في العمل الصالح أكثر في الدنيا حتى يرقى في درجة أعلى، وبالهمة يبلغ العبد هذه الدرجات، فلا تزهد في علو الهمة.

إذاً يجب ألا تكون هذه الأحاديث سبيلاُ إلى تزهيد المؤمن، بل يقول لا إله إلا الله من القلب، محاولاً تحقيق الإخلاص والانقياد لأوامر الله -عزّ وجل- مع علو الهمة وسؤال الله الفردوس الأعلى كما قال رسول الله ﷺ:(إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنها أعلى الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة)

♦الخلاصة:

✓لابد من دراسة العقيدة والاستمرار عليها، فالعلم يحتاج إلى تعهد واستمرار، كذلك يجب تصحيح مفهوم أننا قرأنا كتاباً في علم من العلوم وكفى، الأمر ليس فقط دراسة متن من المتون في شهر أو إثنين أو ثلاثة ثم بعد ذلك أترك العلم؛ فإذا ترك الإنسان العلم سوف ينسى، وإن آفة العلم النسيان .

✓الأمر يحتاج فقط إلى تنظيم، وقد نصحت البعض من قبل، مثلاً لتعلم علم النحو و شرح الآجرومية، أن يجعل لها مثلاً ساعة في الأسبوع، خمسة وأربعين دقيقة للآجرومية وربع ساعة لتعلم الإعراب، فإذا استمر على هذا كل أسبوع، سوف يستمر لسنوات.

أجعل وقتاً لدراسة العقيدة، مثلاً أنا أشرح الآن من كتاب "القول المفيد" شرح وتعليق الشيخ ابن عثيمين نصف ساعة أو قد يزيد قليلاً درس أسبوعي؛ ونِصف ساعة لشرح أسماء الله الحُسنى -أسماء الله الحُسنى من العقيدة- وأيضاً أَشرح "تهذيب مدارج السالكين" التي نتناول من خلالها التوكل والصبر والرضا وغيرها من المنازل القلبية التي أيضاً تعتبر من العقيدة.

✓لابد من الدعاء وسؤال الله -عز وجل- دائماً أن يرزقكِ عقيدة ثابتة راسخة.

✓إذا انتهيت من دراسة كتاب أو علم معين، انتقل إلى العلم أو الدرس الذي يليه، ولا تنسى: قليل دائم خير من كثير مُنقطع.

✓لا تتعلق بشيخ أو معلم معين، فربما الشيخ يؤمل في طالب أن ينشر علمه فيحدث له ظرف ولا يستطيع أن ينشر شيئا، وربما يؤمل الطالب في معلم معين أو شيخ معين ويحدث لهذا المعلم ظرف فلا يستطيع أن يستمر في طلب العلم.

✓الاستمرار على دراسة العقيدة تُعين المرء للبُعد عن الشِّرْكُ الذي قد يتسلل إلى المرء كما اوضحت.

أسأل الله -عزّ وجل- أن يرزقنا أعماراً مباركة في طلب العلم؛ ودائما نستمع إلى شروح النت، فهي موجودة الحمد لله وكثيرة، استمع إلى دروس الشيخ ابن عثيمين والشيخ ابن باز، العلماء جميعاً لهم شروحات طيبة لكتب العقيدة، فلابد أن يكون قلبك معلقاً بالله -عز وجل- فالذي يُعلمك هو الله، والعلماء ما هم إلا سبباً في إيصال المعلومة.

نُريد أن تعود الأمة إلى ما كان عليه السلف في طلب العلم؛ أن يكون العلم حالاً ليس معرفة، ويكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى، وقد أوضحت ذلك في دورة العلم النافع والتغلب على عوائق الطلب؛ يمكنكم الرجوع إليها للاستفادة.

الاستمرار في دراسة العقيدة يُساعد على ترسيخها، كما يجب أن نسأل الله -عزّ وجل- ونستعيذ بهِ من الشرك الأكبر والأصغر، مثل التوكل والخوف والرِياء كما أوضحت، حتى إن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- كان يستعيذ بالله من الشرك، قال تعالى، {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥]

وسوف نتناول دورة العقيدة من خلال الكُتب التي قام بشرحها الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- وبدأت بكتاب "القول المفيد على كتاب التوحيد"؛ وقد قمت بشرح إثنين وعشرين درساً.

♦من خلال الدورة الثانية سوف أتحدث عن:

- عقيدة أهل السُنة في الأسماء والصفات.

- بداية فكر الجَهمية، وفساد هذا الفكر والرد على شُبهِهم.

- فكر الأشاعرة والمعتزلة، كيف بدأ؟ ومتى نشأ؟ والرد على شُبههم.

- فتنة خلق القرآن، وموقف الإمام أحمد بن حنبل تجاه هذه الفتنة بالتفصيل، وكيف واجه الإمام أحمد هذه الفتنة في فترة حُكم ثلاثة من الخلفاء إلى أن كشف الله هذه الفتنة بِحُكم المتوكل -جميعهم أولاد هارون الرشيد-.

- معنى صفات الله الذاتية والفعلية التي ذُكرت في القرآن؛ من خلال كتاب "العقيدة الواسطية" وتجميع كُتب أخرى.

- الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، مع مراجعة قواعد أسماء الله الحُسنى التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين؛ والتي تم شرحها في الدرس العاشر.

- التعبد لله بأسمائه وصفاته من خلال كتاب " طريق الهجرتين" لابن القيم.

(الدرس الأول)

♦في هذا الدرس سوف أتحدث بشيءٍ من الاختصار عن:

- الإيمان بالأسماء والصفات.
- نشأة فكر الجهمية والمعتزلة.
- كيف انتشر هذا الفكر، وما هي شُبههم.
- الرد على شُبه الجهمية والمعتزلة.

♦ الإيمان بالأسماء والصفات:

لكي نتعرف على نشأة فكر الجهمية والمعتزلة يجب أولاً التذكير سريعاً بما قد ذكرته عن الإيمان بالأسماء والصفات في الدورة العلمية الأولى في التسجيل الثامن أو التاسع، وقَواعد الأسماء الحسنى في التسجيل العاشر تقريباً.

أوضحت أن عقيدة أهل السنة والجماعة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية (الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل)

سنتناول الآن بإيجاز تعطيل كلاً من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة لصفات الله الحُسنى، وكيف وقعت بعض الفِرق في تحريف بعض أسماء الله -عزَّ وجل- كذلك سوف أتحدث عن التأويل ومعناه، وأربط بين المعاني التي أتت في كتاب الله -عزَّ وجل-

{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: ٧]

سوف ندرس بالتفصيل جميع النصوص التي أتى فيها لفظ التأويل؛ ونفهم ما هو التأويل المأمور به؟ وما هو التأويل المَنهي عنه والمذموم؟ ومعنى التشبيه التمثيلي وما إلى ذلك.

عقيدة المؤمن في الأسماء والصفات، أن يُؤمن بكل ما وصف الله به نفسه من صفات ثابتة في الكتاب والسنة النبوية، فالله -عزَّ وجل- هو الذي قال عن نفسه، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]

إذاً الله -عزَّ وجل- له وجه، لكنَّ وجه الله ليس كوجوه البشر، بل وجهاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]
وجه الله -عزَّ وجل- لا يُمكن أن يُماثل أبداً وجوه المخلوقين.

قال ابن عباس -رضي الله عنه- (ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء) الأسماء واحدة لكن كل شيء غير الأسماء مختلف المعنى والشكل والطبيعة، ففي الدنيا رمان وفي الجنة رمان مختلف تماماً في كل شئ، إلا الاسم.

نحن نعرف الوجه كما تعلمناه ورأيناه وأدركنا بمفهومنا؛ لكنَّ وجه الله -عزَّ وجل- وجهاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه؛ وإنما قلنا أن لله -عزَّ وجل- وجه لأنه هو سبحانه الذي قال هذا في كتابه، {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]

كذلك قال تعالى، {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤] إذاً لله -عز وجل- يدان، فلماذا يأتي البعض ويقول المقصود باليد النعمة والقدرة؟! أي أن نعمتاه مبسوطتان!

إن الصفة المعنوية لا تُثنى، فلا يَصح أن أقول نعمتاه مبسوطتان.

فكيف نعرف صفات الله -عزَّ وجل-؟

- نؤمن بالصفات التي وصف الله -عزَّ وجل- بها نفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ؛ ذلك لأن النبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، قال تعالى، {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٣-٤] وأما الصفات التي لم تُذكر في كتاب الله ولا في سُنة نبيه ﷺ نتوقف عنها ونقول الله أعلم لا نَعرفها.

- نصف الله -عزَّ وجل- بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه؛ فلا يصح القول بأن يد الله أو وجه الله كيد أو وجه البشر المخلوقين، هذا لا يليق، قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] وسوف أوضح الفرق بين التشبيه والتمثيل، وما معنى التكييف.

- كل ما خطر ببالك ، فالله بخلاف ذلك، لأن الأصل عدم التفكر فى الله وصفاته، فهذا منهي عنه، لأنه من مداخل الشيطان، فنحن نثبت ما جاء عن الله ورسوله، ونفهم المعنى ونقف عند ذلك.لأنّ كُلّ ما يَخطر ببالك من الكيفيات راجعٌ إلى شيء من المخلوقات، والله تعالى بخلاف ذلك، فكيفية ذاتِ الربّ وصفاتِهِ لا سبيل للعباد إلى معرفتها.

□ وصف الله من غير تشبيه ولا تحريف، ولا تعطيل، فمثلاً لا يجوز تحريف معنى الآية، والقول بأن معنى اليد النعمة في قوله تعالى، {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤] فهل هذا تفسير الصحابة؟!

نحن نأخذ معاني القرآن الكريم من النبي ﷺ، أومن الصحابة، أو أننا نفسر معاني القرآن بالقرآن، ولا نَأتي بمعاني القرآن من عند أنفسنا.

□ لا يصح نفي وتعطيل صفة عن الله سبحانه وتعالى، كالقول بأن الله ليس بسميع، لأن السمع من صفات البشر، ولا يجب تشبيه الله -عز وجل- بالبشر، ولكن نقول إن سمع الله وبصرِالله ليس كسمع وبصر المخلوقين، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]

حين ننفي ونُعطل كل الصفات عن الله -عز وجل- كما فعل الجهمية كما سأوضح بالتفصيل بعد قليل، فماذا نُثبت له سبحانه، وماذا تعبد أنت إذاً، هذا لا يليق مع الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله!

□ لا يصح أيضاً الحديث عن الكيفية، ولكن إثبات الصفات لله -عز وجل- من غير تكييف، فالكيف معلوم أي ثابت لله ولكنه مجهول، فَكيفية صفات الله من الأمور الغيبية التي لا نعلمها.

وقد ثبت بالسند أنَّ رجلًا جاء إلي الإمام مالك يسأله، قال يا مالك {الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى} كيف استوى على العرش؟

قال الإمام مالك: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، أخرجوا الرجل فإنه رجل سوء).

استوى بمعنى علي وارتفع على عرشه كما فسرها الصحابة، ولكي تُعرف صفتك لابد أن أراك أو أن أحد يصفك، وحينها نعرف أنك طويل أو قصير وهكذا، أما الله -عزَّ وجل- لم يره أحد في الدنيا ولم يصفه أحد.

الاستواء معلوم لأن الله ذكره في آيات كثيرة جداً في القرآن، فلابد أن نؤمن به، والكيفية ثابتة، ولكنها مجهولة ولا نعلمها لأننا لم نرى الله -عزَّ وجل- في الدنيا ولم يصفه أحد لنا.

□ لماذا لم يُري الله -عزَّ وجل- في الدنيا؟

اختباراً من الله -عز وجل- لعبادِهِ، حتي يؤمنوا بالغيب ولا يتعلقوا بالأسباب الظاهرية، إذاً فالله -عزَّ وجل- لم يره أحد في الدنيا ولم يصفه أحد لنا فكيف سنعرف صفاته، ومن هنا فإن الكيفية ثابتة ولكنها مجهولة لا نعلمها فالبعض يقول نؤمن بالصفات بلا كيف.

♦الخلاصة:

نؤمن بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، إثباتٌ بلا تشبيه، نُثبت صفات الله لكن لا نُشبِهُه بالمخلوق.

تنزيه بلا تعطيل، ولا نصف الله -عزَّ وجل- إلا بكل كمال، ولا نُنفي الصفات عن الله، فلا نقول ليس لله يد أو وجه.

♦نشأة فكر الجهمية والمعتزلة:

● التعطيل هو نفي المعنى الحق الذي دلت عليه الصفة، فالله -عزَّ وجل- له صفة السمع، وهي ثابتة لله في القرآن، والتعطيل ينفي صفة السمع عن الله.

●الجهمية الأوائل، هم الذين بدأوا التعطيل، فقد نفوا الأسماء والصفات لله -عز وجل- وقالوا أن الله لا سميع ولا بصير، وليس له صفة السمع ولا البصر.

فماذا يعبدون إذاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله! نحمد الله -عزَّ وجل- على نعمة الهداية والعقل ليل نهار، فإن حُسن الفهم عن الله من أعظم النعم التي يَمنُّ الله -عزَّ وجل- بها على الإنسان.

وحُسن الفهم هذا ليس بالعقل، ولكنه هداية وتوفيق من الله -عز وجل- فقد يكون إنسان أذكى منك ولكنه كافر، ولا يصل

إلى الإسلام ولم يهتد إلى الإسلام بعد، فالإسلام والإيمان منة عظيمة من الله -عزَّ وجل-

قال تعالى،

{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحجرات: ١٧-١٨]

● وإنما نُريد معرفة نشأة تلك الفِرق، وكيفية تفكيرهم حتى نستطيع الرد على شُبههم، حتى بعض الفِرق المعاصرة، عندما نعرف منهجهم نستطيع معرفة طريقة تفكيرهم، بل ونحمد الله على الحق الذي هدانا له.

فمثلاً بعض أئمة الشيعة يقولون، عندما تسب السيدة عائشة -رضي الله عنها- وتسب الصحابة، فهذا أفضل من ذكر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهل يُعقل هذا؟! بأي عقلٍ يتساوى السَبُ بالذكر؟! الشتم أفضل من التسبيح والتحميد؟! وسبحان الله، لهم من يستمعون إليهم ويُطبقون هذا.

●الجهمية يُثبتون لله -عز وجل- ذاتاً مجردةً عن الأسماء والصفات، فلا يُثبتون لله اسماً ولا صفةً ولا فعلاً!

✓نشأة عقيدة الجهمية:

تنتسب الجهمية إلى الجَهم بن صفوان، وكان تلميذ الجعد بن درهم، والجعد بن درهم هو أول من أظهر الاعتقاد علانيةً، وصَرحَ بِمُناقضة الكتاب والسُنة، وقال: إن الله لم يُكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يستو على العرش.

قال الجعد هذا صراحةً باللفظ، وقد كَفَرَهُ أهل زمانه من التابعين، لأنه كذب القرآن علانيةً، وقال الله -عز وجل- في كتابهِ، {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤] وقال تعالى، {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]

قتله خالد بن عبد الله القسري، وهو أحد أولاد بني أُمية، كان ظالماً شديد البطش، لكنه أحسن في قتله الجعد بن درهم، وكان في بني أمية شِدة على أهل البدع وهذا من محاسنهم.

ذبح خالد بن عبد الله الجَعد يوم عيد الأضحى، فقال (أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مُضحٍ بالجعد بن درهم؛ إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا، ثم نزل فذبحه)

عقيدة الجهمية مأخوذة عن اليهود، وهم يعتقدون التشبيه في الغالب، نفوا الاسم والصفة، فقالوا إن الله ليس بسميع وليس له صفة السمع، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وقد قال في كتابهِ، {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥]

الجهمية أثبتوا أن الله له ذات، لكنهم نفوا كل الصفات عن الله، فكيف يكون لله ذات وليس له صفات وليست له أسماء!؟

الجهمية أخذها الجعد عن طَالوت، وطالوت أخذها من لبُيد بن الأعصم الذي سحر الرسول ﷺ.

إن اليهود رأس الخراب في كل أمة، هم يفكرون كيف يُدمرون الأُمة، بل ويضعون خططهم لسنوات طويلة، عشر سنوات، عشرون، بل ويسعون إلى تحقيق أهدافهم ولو بعد خمسين سنة.

اليهود لديهم جلد شديد في هدم الأمة فكل ضائقة وكل فتنة مرت بالأمة هم السبب فيه.

محاولة اليهود لإفساد الدين عبر التاريخ كثيرة؛ حتى إن الرافضة الذين غَالوا في سيدنا عَلي -رضي الله عنه- أصلهم عبد الله بن سبأ، وكان يهودياً، لأن اليهود علموا أن الحرب المباشرة مع الدين لم تُحقق أهدافهم، فلجأوا للحرب غير المباشرة مثل بث الفِتن في الأمم الإسلامية.

نشأت فرقة الرافضة عندما ظهر رجل يهودي من يهود اليمن اسمه عبدالله بن سبأ ادّعى الإسلام وزعم محبة آل البيت، وغَالى في علي -رضي الله عنه- وادعى له الوصية بالخلافة، ثم رفعه إلى مرتبة الألوهية، وهذا ما تعترف به الكتب الشيعية نفسها.

كذلك فإن الرافضة يسبون الصحابة وأمهات المؤمنين، وهم من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، وهم موجودين الآن في إيران، وسيكون لنا دورة في الحديث عن الشيعة إن شاء الله.

♦كيف انتشر هذا الفكر، وما هي شُبههم؟

تمكنت هذه العقيدة لفترة من الزمن عبر مراحل كثيرة من التاريخ؛ حاول من خلالها أعداء الإسلام الغُلاة في نشر هذه العقيدة، لكن الدولة التي نشأت بعد النبي ﷺ، كانت خلافة راشدة في عهد سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم- فكان فيها فراسة فجمع الله -عزَّ وجل- بين السلطان والقرآن.

كان السلطان الخليفة كأبي بكر وعُمر هم أهل القرآن، أي كان السلطان هو من يؤم الناس في صلاة الجمعة، فجمع الله لهم بين العلم والخلافة، فكان أصحاب السلطان هم أهل القرآن فما استطاع هؤلاء الزنادقة أن يطلوا برؤوسهم إلا في آخر الخلافة الراشدة.

ثم كانت الدولة بعد ذلك لبني أُمية، وكانوا على السُنة، لكنهم اتصفوا بالظلم وأنواع المعاصي والفساد، وكان عندهم شدة محمودة على أهل البدع، لذلك قتلوا رؤوس هؤلاء وقتلوا الزنادقة عامةً، كما فعل الخليفة عبد الله القسري الذي ذبح الجعد في عيد الأضحى.

- نُسبت الجهمية إلى الجهم بن صفوان، ولم تُنسب إلى الجعد بالرغم أنه مؤسسها، ذلك لأن الجَهم هو الذي نشر الفكر أكثر، فقد يأتي تلميذاً فَينشر العلم أكثر من أستاذه.

هؤلاء اليهود دخلوا يخربون الفكر والدين ويصدون الناس عن الحق، فهم يعرفون في باطنهم أنهم على باطل، قال تعالى عن فرعون وقومه، {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل: ١٤]

فأهل الباطل موقنين بآيات الله وأنها حق، لكنهم لا يريدون أن يعترفوا بذلك لما في قلوبهم من كِبر، مثلما فعل فرعون مع سيدنا موسى -عليه السلام- {وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ} كان فرعون يعلم أن موسى على حق، ولكنه لا يريد أن يعترف بهذا الحق لِكبر، ولِحبه للباطل وغير ذلك.

فلو حكم هؤلاء عقولهم ولو لِدقيقة واحدة لا يقولون بأن الله ليس سميع وليس له صفة السمع، بل وأشد منهم الفلاسفة والباطنية وسوف نتكلم عنهم بعد ذلك إن شاء الله.

عندما نفت الجهمية الاسم والصفة لله -عز وجل- ونشر عقيدتهم الجهم بن صفوان، ولجأوا إلى تكذيب صريح لِما جاء في القرآن والسُنة، لم يقبل الناس بهذا، فابتعد الجهمية عن الأسلوب المباشر لنشر فِكرهم، وجاءوا بأسلوب غير مباشر.

- فبدلاً من التكذيب المباشر للكتاب والسُنة، أخذوها بثوب من التأويل، صاغوا عباراتهم بعبارات أخف فكان من هذا تعطيل المعتزلة.

المعتزلة أخذوا عن الجهمية ذلك، فلما فشلت محاولات الجهمية في التكذيب المباشر والقول بأن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ الله إبراهيم خليلاً، لجأ المعتزلة إلى تحريف

النصوص بدلا من التكذيب المباشر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- أثبت المعتزلة ذات الرب وأسماءه الحُسنى ونفوا صفاته؛ لأنهم خشوا من اعتراض الناس معهم مثلما فعلوا مع الجهمية، سبحان الله! إن أهل الباطل لهم ألف طريقه لنشر الباطل، قال المعتزلة إن الله سميع ولكن ليس له صفة السمع، ولكن كيف هذا؟

قال المعتزلة الله أعلم بالمعنى، لا نعرف المعنى، ولكنَّ الله سميع لأن الله أثبت هذا في آيات قرآنية كثيرة، ولكننا ننفي الصفة، والله أعلم بالمعنى.

- لماذا أثبت المعتزلة الأسماء ونفوا الصفات؟

زعم المعتزلة أنهم أرادوا بذلك تنزيه الله -عز وجل- وتقديسه، فلا يتساوى بذلك مع البشر المخلوقين، فكيف يكون المخلوق بصيراً وسمعياً، والرب بصيراً وسمعياً، إذاً الرب ليس بصيراً ولا سميعاً، اعتقاداً منهم أن ذلك تنزيه لله -عز وجل- كما فعل الجهمية، بل أنهم أرادوا نشر الباطل والضلال.

- إذاً اختلف الجهمية والمعتزلة في باب الأسماء والصفات، فبينما تنفي الجهمية الأسماء والصفات ولم يقروا بشيء منها، نرى المعتزلة يثبتون الأسماء شريطة ألا يترتب على هذا

الإثبات إثبات صفة، فهو تعالى سميع بصير، لكن بذاته لا يسمع، ولا يرى.

♦الرد على شُبه الجهمية:

✅الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

✅نفى الجهمية أسماء الله الحُسنى وصفاته، وأثبتوا له الذات، بل إن لله -عز وجل- أسماءً وذاتاً وصفاتاً، ولكن لا تُشبه أسماء ولا ذوات المخلوقين، لأن هذا لا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.
{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]

✅الكمال هو إثبات الصفة الله -عزَّ وجل- بما يليق بجلاله وكماله، فسَمِع الله يختلف عن سمع المخلوقين، الله يسمع جميع الأصوات في نفس الوقت، مع تفنن الحاجات والطلبات، ومع اختلاف الدعوات التي يسمعها الله -عزَّ وجل- سبحان الله!

ثم إن المخلوقات نفسها تتفاوت في الصفات بينها وبين بعض، وهذا من عظمة الخالق وقدرته، الإنسان مخلوق والكلب -أعزكم الله- مخلوق أيضاً، لكنَّ الكلب يسمع عند ٤٠

ألف هيرتز (Hz)، والإنسان يسمع عند ٢٠ ألف هيرتز (Hz)، أي أن الكلب يسمع ضعف سمع الإنسان، فَيستطيع الكلب بذلك أن يسمع أبعد من للإنسان، فإذا كنا نحن كمخلوقات نتفاوت في الصفات فكيف بالخالق!!

✅يجب إثبات أسماء وصفات المخلوقات، وكذلك إثبات أسماء الله -عز وجل- وصفاته بما يليق بجلاله سبحانه، لأن هذا لا يتنافى مع ذاك.

فقد جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ "إن المُقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن -عز وجل- وكِلتا يديه يمين ـ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"

وإن سُميت إحدى يديهِ -عز وجل- في أحاديث أخرى شمالاً، كما جاء أيضاً في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "يطوي الله -عز وجل- السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

ويمكن الجمع بين الحديثين أن الشمال ذات يمينٍ وبركةٍ، وأنهما مُتصفتان بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، بخلاف حال المخلوقين الذي تنقص يد أحدهم عن الأخرى في الشرف والقوة والكمال.

(الدرس الثاني)

(نشأة المعتزلة وعقيدتهم وكيفية الرد على شبههم)

□ وفي هذا الدرس سوف أتحدث عن:

♦ الفرق بين الجهمية والمعتزلة؟

□نفي الجهمية أسماء الله وصفاته، فقد نفوا مثلاً أن الله تعالى سميع وكذلك نفوا صفة السمع.

□ أثبت المعتزلة أسماء الله، فقالوا أن الله سميع وأثبتوا أنه بصير، وأنه عليم ولكن نفوا عنه الصفات.

فكيف سَيستقيم الأمر إذاً؟

لقد خلق الله -عزَّ وجل- العقل للإنسان ليصل به إليه سبحانه وتعالى، ولكن العقل قد ينحرف، فنعمة الفَهم عن الله من أعظم النعم التي يَمُنَّ الله -عزَّ وجل- بها علينا، فوجب علينا أن نحمد الله -عزَّ وجل- ليل نهار ونسأله تعالى أن يرزقنا حُسن الفهم عنه.

الفتن في الأُمة منذ القدم وحتى الآن، وقد أصبحت الآن تموج حولنا كموج البحر، ولا يوجد من هو بعيداً عن الفتنة، فسأل الله -عزَّ وجل- أن يُثبتنا، وأن يوفقنا لرؤية الحق والعمل به، وحين نتدارس فتنة خلق القرآن وكيف ثَبُت فيها الإمام أحمد

بن حنبل سنخرج بفوائد جميلة جداً، منها الثبات عند الفتن والتمسك بقول الحق.

♦ نشأة المعتزلة:

مُؤسس فكر المعتزلة رَجُلٌ يُقال له واصل بن عطاء، وكان تلميذاً للحسن البصري، وقد دخل رَجلٌ على الحَسن البصري وسأله: لقد ظهر في زماننا جماعة يُكَفِرونَ أصحاب الكبيرة، فَيقولون الذي يعمل الكبيرة هذا كافر، والكبيرة عندهم كُفر وخروج من الملة وهؤلاء هم الخوارج

وقال: وهناك فرقة أُخرى يا إمام يُرجِئون أصحاب الكبائر، يقولوا الكبيرة هذه لا تَضُر مع الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهؤلاء هم المرجئة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟

ففكر الحسن البصري في ذلك، وقبل أن يُجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مُطلقاً؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر، ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن. فقال الحسن: (اعتزلنا واصل)، فسُمي هو وأصحابه المعتزلة.

ومن هنا نجد أن احترام المعلم واجب، وعدم التسرع في الرد من حُسن الخُلق، فكان يجب على واصل بن عطاء انتظار

شيخهِ الحسن البصري حتى يُجيب، لأن سرعة الإجابة على سؤال السائل قد يُوقع في فتنة عظيمة كما حدث بالفعل.

ولكن واصل بن عطاء أجاب دون تفكير، وقال للسائل بأن صاحب الكبيرة ليس مؤمن مطلقاً، ولا كافر مُطلقاً؛ بل هو في منزلة بين المنزلتين، أي بين الكُفر والإيمان، بل وأخذ يُثبت هذا بين الحاضرين دون أن ينتظر رد شيخهِ البصري، فقال له الحسن البصري (اعتزلنا واصل) أي أترك مجلسنا، ومن هنا سُموا بالمعتزلة لإعتزالِهم قول الأُمة بأسرها.

كما أن سؤال السائل كان سببه أنه لم يوجد أيام النبي ﷺ من يخوض في مثل تلك المسائل، ولا في صدر الإسلام، ولكن حدث ذلك فى أواخر عصر الصحابة.

إن صاحب الكبيرة من أُمة الإسلام يعتبر مؤمناً، لما فيه من معرفتهِ بالرُسل والكُتب المُنزلة من الله تعالى، ويعرف ما جاء به عن الله، ولكنه فاسق بمعصيته، ذلك لأن الفسوق يُعني الخروج عن طاعة الله، وفسقه لا يَنفي عنه اسم الإيمان والإسلام.

ما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة؟

□والصحيح الذي مضى عليه سلف الأُمة من الصحابة والتابعين:

أن صاحب الكبيرة ليس بكافر كما يقول الخوارج، قال الله -عزَّ وجل-

{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا } [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤٨]

فالكبائر قد يغفرها الله -عزَّ وجل- ماعدا الشرِك، وبذلك فَصاحب الكبيرة ليس كافراً، ولكن ليس معنى ذلك أن يرتكب الإنسان المعاصي، كما يقول البعض أفعل الكبائر كما تُريد والإيمان في القلب ولا يضر مع الإيمان معصية.

لأن الإرجاء كذلك لا ينفع، فمن الناس من يرتكن إلى قول الله -عزوجل- {إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ} [البقرة: ١٧٣] ويرتكب الذنوب والمعاصي وينسى قوله تعالى، {إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ} [المائدة:٢] .

إذاً مؤسس فرقة المعتزلة هو واصل بن عطاء البصري، ولد سنة (٨٠ هـ) وتوفي سنة (١٣١هـ)، وكان هذا الرجل مُتشدقا، وكان واصل بن عطاء على ما وهبه الله من فطانة وفصاحة وبلاغة في القول، إلا كان عنده لدغة في حرف الراء، لذا كان يتجنب الراء في كل كلامه.

♦الأصول الخمسة عند المعتزلة:

أتى المعتزلة بمبادئ خالفوا فيها منهج أهل السُنة والجماعة عُرفت بالأصول الخمسة عند المعتزلة ، وسوف اشرحها إجمالاً لأن الوقت لا يتسع التفصيل:

١) التوحيد: أثبت المعتزلة وحدانيةِ الله، ومعنى التوحيد عندهم هو نفي أن يكون لله تعالى صفات أزلية؛ كالعلم، والسمع، والقدرة،وتأوَّلوا الآيات التي تُثبت الصفات، التي

يُفهم منها أن له صفات كصفات المخلوقين، ورفضوا الأحاديث التي تُثبت هذه الصفات أيضًا.

٢) العدل: نفي المعتزلة أن يكون الله خالقاً لأفعال عباده، وقالوا: إن العباد هم الخالقون لأفعال أنفسهم إن خيراً وإن شراً، فهم يرون أن الإنسان حُر مُطلق، وهذا نفي للقدر.

 هذا القول خلاف اعتقاد أهل السُنة والجماعة، الذين يؤمنون بأن الله -عز وجل- هو الذي خلقنا وخلق أعمالنا، أي أن الله خلقك وخلق صلاتك، وعباداتك أيضاً، وبذلك فأنت وصلاتك وعباداتك مخلوقين، قال تعالى {وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ} [الصافات: ٩٦]

٣) الوعد والوعيد: والمقصود به إنفاذ الوعيد في الآخرة على أصحاب الكبائر، ويلزم على هذا الأصل أنَّ أصحابَ الكبائر - من عصاة المؤمنين - إذا ماتوا من غير توبة؛ فإنهم يستحقُّون بمقتضى الوعيد من الله النارَ خالدين فيها، إلاَّ أن عقابهم يكون أخفَّ من عقاب الكفار.

٤) المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل يوضح حكم الفاسق في الدنيا عند المعتزلة، إذ يعتقد المعتزلة أن الفاسق في الدنيا لا يُسمى مؤمناً بوجه من الوجوه، ولا يُسمى كافراً، بل هو في منزلة بين هاتين المنزلتين فإن تاب رجع إلى إيمانه، وإن مات مُصِراً على فسقه كان من المخلدين في عذاب جهنم

٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهذا الأصل يوضح موقف المعتزلة من وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بما يتفق مع عقيدتهم، أي أنهم يدعون لما يؤمنون به، وإلزام الناس به، ويبدو هذا واضحًا في محنة خلق القرآن.

وما يخصنا الآن هو تناول أول أصل من الأصول الخمسة، وهو التوحيد، فكما ذكرت أن المعتزلة يُثبتون الاسم لله -عز وجل- وينفون عنه الصفة، وهذا أصل التوحيد عندهم، فقالوا أن الله سميع وليس له صفة السمع، وبصير وليس له صفة البصر، وهكذا.

لماذا نفى المعتزلة الصفات عن الله -عزَّ وجل-؟

إن إثبات الأسماء لله -عزَّ وجل- ونفي الصفات عنه سبحانه لدى المعتزلة كان بسبب شبهتين:

- الشبهة الأولى: مسألة تعدد القديم، قال المعتزلة لو أننا أثبتنا الصفات لله لكانت هذه الصفات قديمة، والله قديم، ويلزم من ذلك تعدد القدماء، فقالوا لو أثبتنا الصفة فإنا بذلك نثبت وجود إلهين أو ثلاثة آلهة أو أربعة، وهكذا، كلما أثبتنا صفة لله تتعدد الألهه، وهذا يُنافي التوحيد، ولذلك نفوا الصفات عن الله -عز وجل- وهذا كلام لا يُعقل.

✓والرد على هذه الشبهة أن الصفات إنما تقوم بذات الرَب -عز وجل- ولا تقوم منفردة، فنحن لا نرى صفة مُستقلة

بذاتها، كأن نرى مثلاً صفة السمع أو البصر مخلوقة مستقلة بدون ذات.

إنما الصفات تقوم بالذات، هي ذات واحدة تسمع وتُبصر وترى وتتكلم وتمشي والخ،
ولا تقوم الصفات منفردة ولا مستقلة، فَالانفصال بين الصفة والموصوف أو بين الذات والصفات إنما هو انفصال في الذهن فقط وليس في الخارج.

وتلك الضلالات كلها يغرسها اليهود، فهم أصل كل فتنة وبدعة، ومن يُصدق تلك الفتن والبِدع، فهذا من ضآلة الفكر، فالعقول ربما تزيغ وتضل والجهل يجعل الإنسان يصدق أي شيء، فالعقل نعمة من عند الله -عز وجل-

أسأل الله عزّ وجل أن يوفقنا لطاعته، وأن يديم علينا نعمة العلم والفهم.

إذاً هي ذات واحدة لها صفة السمع والعلم والبصر والقدرة والكلام؛ فالله -عزَّ وجل- واحد لا شريك له لم يزل بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى، {وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ } [الأعراف: ١٨٠]

وقال تعالى {قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ} [الإسراء: ١١٠] الأسماء كثيرة والصفات متعددة لكن الموصوف واحد لا شريك له.

وأنت أيها المعتزل، أنت رجلٌ واحد، ولك صفة السمع وصفة البصر وصفة الكلام، فهل يُعقل إذا قلت لك سمع سوف

تكون اثنين؟! ولو قلت لك بصر سوف تكون ثلاثة؟! وهكذا تتعدد كلما عددت لك الصفات؟!

لكن لا مانع أن يكون عندي في الذهن انفصال، أي أني أفهم صفة السمع والبصر والكلام بمعاني مختلفة، فلكل صفة في ذهني معنى أفهمه جيداً، لكن في الحقيقة الموصوف واحد، وإنما تتعدد هذه الصفات.

□ الشبهة الثانية: استلزام التشبيه، زعم المعتزلة أنهم إذا قالوا أن الله -عز وجل- سميع فهذا تشبيه لله بالبشر، وهذا نفس أراء الجهمية الذين قالوا إن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم بزعمهم أنه لا يُشاهد موصوفاً بها إلا هذه الأجسام، فتعين نفي الصفات وتعطيلها تنزيها له عن التشبيه بزعمهم.

قال الله عز وجل :

{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [آل عمران: 31]

قل -أيها الرسول-: إن كنتم تحبون الله حقا فاتبعوني وآمنوا بي ظاهرًا وباطنًا، يحببكم الله، ويمحو ذنوبكم، فإنه غفور لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله -تعالى- وليس متبعًا لنبيه محمد صلى الله عيه وسلم حق الاتباع، مطيعًا له في أمره ونهيه، فإنه كاذب في دعواه حتى يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم حق الاتباع.

✅الرد على هذه الشبهة، أن سَمعِ الله -عزَّ وجل- ليس كسمع المخلوق، بل سمع الله -عز وجل- يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

إن الله -عزَّ وجل- أثبت لنفسه أسماء وصفات وسمى بعض خلقه بهذه الأسماء، سمى سيدنا إسحاق عليماً، وسيدنا إسماعيل حليماً، والله -عز وجل- أيضاً اسمه العليم واسمه الحليم، ولكن عِلم الله سبحانه علمٌ يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، ليس كعلم سيدنا إسحاق؛ وحلم الله حلمٌ يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ليس كحلم سيدنا إسماعيل.

فلا يستلزم منه التشبيه، ومِثالاً آخر للرد على هذه الشُبهة، أن الإنسان يسمع عند حد معين والكلب يسمع ضعف سمع الإنسان، فالسمع يتفاوت بين المخلوقين، فكيف بالخالق، الذي خلق الكلب والإنسان، الذي له الكمال المطلق، وإنما الكمال هو إثبات الصفات لله -عز وجل- ولكن بوجه يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وإنما العقل يقول أنه كما أثبتت المعتزلة أسماء الله -عز وجل- بلا تشبيه، فكان الأولى بهم إثبات صفات لله بلا تشبيه، حتى يستقيم الأمر، ويثبتوا لله الكمال المطلق بإثبات الصفات له بما يليق بجلاله وكماله.

هذه العقيدة تلقاها بِشر المريسي رأس المعتزلة من الجهم بن صفوان وانتشرت هذه العقيدة على أيديهم حتى خدعوا بها

الخليفة المأمون العباسي؛ فكان للأسف عنده هذا الفكر الاعتزالي، وكان مُولعاً بكُتب الفلاسفة وتأثر بها، حتى قال بخلق القرآن .

بالرغم أن الخليفة هارون الرشيد كان مُتمسكاً باعتقاد أهل السُنة والجماعة، وكان شديداً على أهل البِدع، كما أنه كان يحج في سبيل الله عاماً، ويغزو في سبيل الله عاماً، وتولى الحكم أربعة من أبنائه؛ المأمون، والمُعتصم، والواثق، والمتوكل.

إلا إن المأمون كان مولعاً بعلم الكلام والفلسفة، وعلم الكلام هو إدخال العقل مع أوامر الله -عز وجل- فَدَسَ إليه المعتزلة السموم، فقدموا له علوم الأوائل مُترجمة، وكان يُنفق على ترجمة كُتب اليونان أموالاً كثيرة.

حدثت فتنة خلق القرآن في عهد الخليفة المأمون العباسي، واقنع المعتزلة المأمون بأن من لم يَقُل بخلق القرآن فهو كافر، وطلبوا منه امتحان الناس في خلق القرآن وأن القرآن مخلوق، أي أن الله -عزَّ وجل- لم يتكلم به، ويعتقدون أن القرآن فعلًا مخلوقًا من أفعال الله سبحانه وتعالى، فهم يريدون نفي صفة الكلام عن الله.

(الدرس الثالث)

(نشأة الأشاعرة وعقيدتهم وكيفية الرد على شبههم)

□ وفي هذا الدرس سوف أتحدث عن:

□ منهج الأشاعرة وعقيدتهم ونشأتهم.

□ شبههم والرد عليهم.

□ موقف الأشاعرة والمعتزلة من نصوص الكتاب والسُنة.

فبعد أن تحدثنا عن الجهمية الذين نفوا الأسماء والصفات، والمعتزلة الذين أثبتوا الأسماء لله ونفوا الصفات، والآن سوف نتحدث عن الأشاعرة الذين أثبتوا لله الأسماء وسبعاً من الصفات.

إن الإسلام دين الفطرة، فَشعائره وشرائعه لا تتعارض ولا تصطدم مع المنطق القويم والعقول السوية والفطر المستقيمة، ولو لم يكن أصحابها مسلمين.

فعن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - أنه أتى النبي ﷺ، يستفتيه عن جارية كان قد لطمها، فعظّم النبي ﷺ فعله فقال: يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال: ائتني بها، فأتاه بها، فقال لها: (أين الله ؟ قالت: في السماء، قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم

فالأمر سهل وميسور والإنسان بفطرته، لكن هؤلاء من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة اتبعوا علم الكلام والمنطق فضَلوا، وكان واجباً عليهم القول أن صفات المخلوقين تختلف عن صفات الله -عز وجل- وأن الله سبحانه وتعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]

فليست يد الله كيد المخلوق، يد الله يد تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وهذا يدل على الكمال المُطلق لله -عزَّ وجل- فمثلاً الجنة بها فاكهة مثل فاكهة الدنيا، ولكن صفات ومذاق فاكهة الجنة تختلف تماماً عن تلك التي في الدنيا.

فمن هؤلاء الفِرق من نفى الصفات عن الله -عز وجل- لأنها تُشبه صفات المخلوقين، فمثلاً نفوا صفة الرحمة عن الله لأن المخلوق يرحم، وبذلك فهي تدل على الضعف، فهل رحمة الله كَرحمة المخلوق؟!

إن المخلوق يتلهف ويحزن ويبكي من أجل مخلوق مثله، وقد يرحم المخلوق القريب دون البعيد، لكن رحمة الله -عزَّ وجل- وسعت القريب والبعيد، كما أن الله -عزَّ وجل- لا يتأثر باللهفة ولا يحزن.

إنما وجب علينا إثبات صفات الله على الوجه الذي يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فهو سبحانه وتعالى يرحم من يشاء ويعذب من يشاء، قال تعالى،
{يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ} [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٢١]

♦نشأة الأشاعرة:-

عندما دخل علم الكلام تأثر الأشاعرة بعلم الكلام وفِكر الفلاسفة، فكانت عباراتهم صعبة.

تنتسب الأشاعرة لأبي الحسن الأشعري، وهو علي بن إسماعيل، ولد في البصرة سنة ٢٧٠هـ، وقد تاب من هذه العقيدة ورجع إلى منهج أهل السُنة .

مر أبو الحسن الأشعري في حياته الفكرية بثلاث مراحل:

● المرحلة الأولى:

عاش فيها في كنف الجبَّائي، وكان شيخ المعتزلة في ذلك الوقت، حتى صار نائبه وموضع ثقته، ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة.

●المرحلة الثانية:

اعتكف أبو الحسن الأشعري في بيته خمسة عشر يوماً يُفكر ويدرس ويستخير الله -عزَّ وجل- حتى اطمأنت نفسه وأعلن

البراءة من الاعتزال، فانتقل في هذه المرحلة من مذهب الاعتزال إلى مذهب الأشاعرة.

خط أبو الحسن الأشعري لنفسه منهجاً جديداً، لجأ فيه إلى تأويل النصوص وظن أن التأويل يتفق مع أحكام العقل وتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، وكان أيضاً من الأشاعرة الذين لهم الصدارة في إثبات سبع صفات.

- المرحلة الثالثة:

وفيها قام أبو الحسن الأشعري بإثبات الصفات جميعها لله من غير تحريف ولا تكييف، فكان على مذهب أهل السُنة، مؤمن بكل أسماء الله -عزَّ وجل- التي وردت في كتابهِ وسُنة النبي ﷺ.

في هذه المرحلة كتب أبو الحسن كتابه (الإبانة عن أصول الديانة) وعبر فيه عن تفضيل عقيدة السلف ومنهجهم الذي كان يحمل لواءها الإمام أحمد بن حنبل في ذلك الوقت.

لم يقتصر أبو الحسن على ذلك بل خَلَفَ مكتبة كبيرة في الدفاع عن السُنة وشَرَح العقيدة، تُقدر بثمانية وستين مؤلفاً.

توفي أبو الحسن الأشعري سنة ٣٢٤هـ، ودُفن في بغداد، ونودي على جنازته: "اليوم مات ناصر السُنة" أي أنه مات على منهج أهل السنة.

فكيف ننسب لرجل عقيدة هو بذاته تاب وتبرأ منها؟! ولكن لكثرة مصنفاته واختلاطه بالأشاعرة وغير ذلك نُسب الأمر إليه، وإن كان للأشاعرة علماء حملوا هذا الفكر مثل بن كُلَّاب، وابن منصور الماتريدي وغيرهما، ولكن اشتهرت العقيدة باسم الأشاعرة.

سبحان الله! فكم أضاع علم الكلام هذا جهود وأوقات كثير من العلماء، لو كانوا هؤلاء العلماء استغلوا علمهم في خدمة الأُمة، لكان أكثر فائدة في نصرة الحق.

وها هو الجويني يقول عند موته: أنا الآن أموت على عقيدة أمي -أي على الفطرة- وكان قد أقبل على علم الكلام مع علمهِ بنهي العلماء عنه وتحذيرهم منه؛ لكنه أوغل فيه حتى بلغ طبقة كبار المتكلمين، الذين استولت عليهم الحيرة وأخذهم الشك، حتى تبين لهم أن هذا العلم لا يهدي للحق، وإنما يُثير الشك ويجلب الحيرة ويهدم الدين.

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحسن بن العباس الرستمي أنه قال: (حكى لنا الإمام أبو الفتح محمد بن علي الطبري الفقيه قال: دخلنا على الإمام أبي المعالي الجويني نعوده في مرضه الذي مات فيه بنيسابور، فأُقْعِدَ؛ فقال لنا: "اشهدوا علي أني رجعت عن كل مقالة قلتها أُخالف فيها ما قال السلف الصالح، وأني أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور).

وقال ابن تيمية أيضاً: (روى عنه ابن طاهر أنه قال وقت الموت: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام

وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يدركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا أموت على عقيدة أمّي).

فكل من دخل في الكلام والفلسفة، وأدخل العقيدة في هذا، ندم على هذا إن كان يُريد الحق، فمن كان يُريد الحق يهديهِ الله - عزَّ وجل- للحق، وهنا مُريد الحق ندم على دخوله في علم الكلام.

♦عقيدة الأشاعرة:

أثبت الأشاعرة الأسماء وسبعة من الصفات فقط وهي:

- الصفات الثبوتية:

(العلم - الحياة - القدرة - الإرادة - السمع - البصر - الكلام)

وينفون باقي الصفات لله -عز وجل-

- صفات المعاني:

أثبت الأشاعرة صفات المعاني السبع، والتي إذا تأملتها سوف تجد أنها لا تختلف عن الصفات الثبوتية وهي :

(كونه حياً - عليماً - قديراً - مُريداً - سميعاً - بصيراً)

فلا يوجد فرق بين صفة الحياة وكونه حياً، أو بين صفة العلم وكونه عليماً.

- صفة ذاتية:

وهي الوجود، التي تدل على معنى أكثر من ذات الله -عز وجل- فهم يثبتون لله -عز وجل- ذاتاً، فهم يُثبتون لله الأسماء وسبعاً من الصفات.

- الصفات السلبية:

ولأن الأشاعرة تأثروا بعلم الكلام والفلسفة، فقد وضعوا ما يُسمى بالصفات السلبية وهي ما دل على سلب ما لا يليق بالله عن الله من غير أن يدل على معنى وجودي قائم بالذات وهي:

(القِدَم - البقاء - الوحدانية - المُخالفة للحوادث - القِيام بالذات)

وسوف نتناول معنى كل صفة من الصفات السلبية:

- القِدَم: فهم ينفون القِدَم عن غيره.

- البقاء: أي أن الله -عز وجل- باقي.

□مُخالفة الحوادث: ينفون عن الله -عزَّ وجل- مماثلة الحوادث، أي أن الله -عز وجل- مُخالف للبشر، فالبشر حادث -أي جديد- فمثلا نفوا أن لله -عزَّ وجل- يد، مخالفةً للحوادث، ومُخالفة للبشر، لأنها تدل على القدرة والنعمة.

وهذا باطل، لأن يد الله ليست كأيدينا، إن الله -عز وجل- {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١] كذلك الصفة المعنوية لا تُثنى، قال تعالى {بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ} [سُورَةُ المَائـِدَةِ: ٦٤]

□الوحدانية: أي عدم التَبعُض والتَجَزُء، وإن كان المعنى صحيح لكنه لم يَرد في كتاب الله ولا في سُنة نبيه ﷺ ولا ذكر هذا أحد من السلف.

والمقصود أن الإنسان له يد هي جزء منه، وله وجه هو عضو في جسده، فالإنسان أبعاض مكونة من أعضاء، لذلك نقول أن اليد عضو، والأذن عضو وهكذا، لكن الله -عزَّ وجل- ليست له أبعاض ولا أجزاء، هذا ما أرده الأشاعرة بالوحدانية.

✅لكن المعنى الصحيح للوحدانية أوسع من ذلك، فَالوحدانية نُعني الإيمان بتوحيد الربوبية، وأن الله -عزَّ وجل- هو الرب الإله الخالق الرازق المُدبر، كذلك توحيد الألوهية هو أن أعبد الله وحده، وأن أؤمن بأسمائه وصفاته .

□القيام بالذات: المقصود به عند الأشاعرة أن الله -عزَّ وجل- قائماً بنفسه.لكن المخلوق لا يكون قائما بنفسه، لكن المخلوق بحاجة إلى ربه.

سبحان الله! وهذا هو المقصود باسم الله القيوم أي أن الله -عز وجل- هو القائم بنفسه المُقيم لكل ما سواه.

انظر إلى ثِقل العبارات وصعوبتها، التي حين يتعلمها الطالب في المرحلة الإعدادية أو الثانوية لا تُساعده على ترسيخ العقيدة والتوحيد في قلبه، بل تُشتِتهُ وتُثير الشك وتَجلُب الحيرة.

♦ شُبه الأشاعرة:

□ قال الأشاعرة أن العقل يُثبت هذه الصفات الثبوتية (العلم - الحياة - القدرة - الإرادة - السمع - البصر - الكلام) دون غيرها، وكذلك صفات المعاني (كونه حياً - عليماً - قديراً - مُريداً - سميعاً - بصيراً)

□ نفى الأشاعرة القِدَم والبقاء عن المخلوقات ويُثبتونه لله - عزوجل-

- أثبت الأشاعرة الوحدانية لله ولكن بمفهوم غير الذي ورد في كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، فَالوحدانية عندهم تُعني أن الله ليس له أبعاض ولا أجزاء.

- كذلك أثبت الأشاعرة أن الله -عز وجل- قائماً بنفسه، أما الخلق فهم في حاجةِ إلى الله.

ولكن بالأدلة من الكتاب والسُنة و النُقولات عن أئمة السُنة، يتبين لكل ذي عقل أن أهل السُنة والجماعة يثبتون جميع صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسُنة على الحقيقة لا على المجاز، إثباتاً مُنزهاً عن التمثيل والتكييف، وتنزيهاً بلا تأويل وتحريف وتعطيل.

وهذا فخر الدين الرازي في نهاية عمره، بعدما توسع في العلم، أنشد قائلاً:

نهاية إقدام العقول عِقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا
وحاصل دُنيانا أذى ووَبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

إن الأشاعرة استخدموا الدليل العقلي في عدد من الحالات في توضيح بعض مسائل العقيدة، رغم أنهم قدموا النص على العقل، إلا أنهم جعلوا العقل مُدخلاً في فهم النص، وكما رأينا نهاية ادخال العقل في العقيدة، هو التَشَتُت والضلال.

إن العقل نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، أنعم بها على الإنسان، إذ من خلاله يتعرّف الإنسان على أسرار خلق الله تعالى وعظيم صنعه، وبه يتوصّل إلى تصديق الأنبياء والرسل الذين بعثهم الله تعالى لهدايته وسعادته، وذلك أنّ الإنسان لا يستطيع أن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبيّن إلا بالعقل.

♦الرد على شُبَه الأشاعرة:

١) خالف الأشاعرة مذهب السلف في إثبات وجود الله تعالى، ووافقوا الفلاسفة والمتكلمين في الاستدلال على وجود الله تعالى بقولهم: إن الكون حادث ولا بد له من مُحدث قديم وأخص صفات القديم مخالفته للحوادث وعدم حلوله فيها.

✓بينما طريقة السلف هي طريقة القرآن الكريم في الاستدلال على وجود الخالق سبحانه وتعالى.

٢) حصرهم صفات الله في سبع صفات هي (العلم - الحياة - القدرة - الإرادة - السمع - البصر - الكلام) وتأويلهم غيرها، في غاية في الغرابة والتناقض.

✓وإلا ما الذي جعلهم يُؤولون صفة الرحمة مثلاً ولا يُؤلون صفة السمع، فإن قالوا إن الرحمة تدل على رقة القلب وهذا لا يليق بالله، لأن فيه مشابهة للمخلوقين، قلنا وكذلك السمع فإن في إثباتِهِ مشابهة للمخلوقين.

فإن قالوا نحن نُثبت سمعاً يليق به جل وعلا، قلنا فاثبتوا رحمة تليق به كما أثبتم سمعاً يليق به، فإن الله{ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ } [العنكبوت: 21] وليست الرحمة صفة خور وضعف.

٣) في معنى التوحيد، فَالتوحيد عند الأشاعرة هو نفي التبعيض والتركيب والتجزئة، وفي ذلك يقولون: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له.

لذلك فسروا الإله بأنه الخالق أو القادر على الاختراع، وأنكروا صفات الوجه واليدين والعين لأنها تدل على التركيب والأجزاء عندهم.

وفي هذا مخالفة كبيرة لمفهوم التوحيد عند أهل السنة والجماعة من سلف الأمة ومن تبعهم ، وبذلك جعل الأشاعرة التوحيد هو إثبات ربوبية الله عز وجل دون ألوهيته

✓أما مفهوم أهل السنة والجماعة في معنى التوحيد، فهم يعتقدون أن التوحيد هو أول واجب على العبيد إفراد الله

بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على نحو ما أثبته تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسولهﷺ، من غير تحريف أو تعطيل.

٤) في تأويل الصفات، يعتقد الأشاعرة تأويل الصفات كالوجه واليدين والعين والعلو والاستواء، وقد ذهبوا إلى تفويض معانيها إلى أن الله تعالى مُنزه عن ذلك.

✅أما مذهب السلف فإنهم يثبتون النصوص الشرعية دون تأويل سواءً كان في نصوص الصفات أو غيرها، {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}
[سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١]

♦الخلاصة:

فكما جاء الرد على شُبَه الجهمية الذين أثبتوا لله ذاتاً لا تُشبه ذوات المخلوقين، قُلنا لهم لماذا لا تُثبتوا لله صفاتاً لا تُشبه صفات المخلوقين؟!

كذلك المعتزلة الذين أثبتوا لله ـعز وجلـ أسماءًا لا تُشبه أسماء المخلوقين و ذاتاً لا تُشبه ذوات المخلوقين، قلنا لهم ولماذا لا تُثبتون لله صِفاتاً لا تُشبه صفات المخلوقين؟!

والآن أنتم أيها الأشاعرة أثبتَّم لله -عزّ وجل- سبع صفاتاً فقط، فلماذا لم تُثبتوا باقي الصفات التي جاءت في الكتاب والسُنة؟!

إن الله -عزّ وجل- وصف نفسه بأنه عليم، قال تعالى، {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٩] ووصف سيدنا إسحاق بأنه عليم، {قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ}[سُورَةُ الحِجْرِ: ٥٣]
فهل علم الله يُشبه علم سيدنا إسحاق؟! بل إن علم الله -عز وجل- يَليقُ بجلالِ وجههِ وعظيمِ سلطانه.

وصف الله -عزّ وجل- نفسه أنه حليم، قال تعالى، {لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ}[سُورَةُ الحَجِّ: ٥٩]
ووصف سيدنا إسماعيل بأنه حليم {فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ} [الصافات: ١٠١]
لكن حلم الله -عز وجل- يَليقُ بجلالِ وجههِ وعظيم سلطانه.

♦ موقف الأشاعرة والمعتزلة من نصوص الكتاب والسُنة:

● الموقف الاول:

الإيمان بألفاظها وتفويض معانيها، أي إثبات اللفظ من غير معرفة معناه، فَيُثبتون الألفاظ فقط.

لكن المعنى صحيح هو إثبات اللفظ ومعناه الذي يدل عليه، ثم تفويض علم كيفيته إلى الله، فَنُثبت لله تعالى أسماءه الحسنى،

وصفاته العُلى، ونعرف معانيها ونؤمن بها، غير أننا لا نعلم كيفيتها .

فإن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضّنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ {كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [سُورَةُ صٓ: ٢٩]

□ قال الأشاعرة (أن طريقة السلف أسلم، وطريقتهم أعلم وأحكم)

كيف ولا يجوز أن يكون الخالفون أعلم من السالفين، هذه مقولة باطلة، يُقصد بها الإساءة إلى سلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسُنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول).

أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

●الموقف الثاني:

صرف هذه النصوص عن مدلولها إلى معاني ابتدعوها من عند أنفسهم، فقالوا إن يد الله تدل على النعمة والقدرة، والعين تدل على الرعاية، وكل هذه المعاني تأويل وتحريف للنصوص، وليس عليها دليل من الكتاب والسُنة ولا من السلف الصالح الذين هم أُمناء وعُدول.

إن العقول السليم تُثبت كل ما جاء في الكتاب والسُنة، فلابد أن نُقدم ما جاء في الكتاب والسُنة على العقول، لأن العقول تتفاوت وتختلف ولا تجتمع على أمر معين، وإن من يستوعب العقول هو خالقها -عزَّ وجل-.

إن الله أعطى الإنسان العقل كي يُبدع، ويصل به إلى الله -عزَّ وجل- لا يكون هو الأساس والحَكم على الأمور.

ومن الأمور التي لا يجوز للعقل أن يخوض فيها، الحُكم في المباحث الإلهية التي لا تُعلم إلا بدلالة الوحي لِكونه من الغيب المحض.

(الدرس الرابع)

(متابعة موقف الأشاعرة والمعتزلة من نصوص الكتاب والسُنة)

□ وفي هذا الدرس سوف أتابع الحديث عن:

□ موقف الأشاعرة والمعتزلة من نصوص الكتاب والسُنة.

اليهود هم سبب أي فتنة ومحنة وبلاء، تمر بها الأمة، فمنذ أن بعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ بدين الإسلام، واليهود يكيدون لهذا الدين ولنبيه، مع أنهم يعرفون أنه رسول الله حقًّا.

ولا يشك أحد بأن اليهود عملوا جهدهم -ولا يزالون- في الدس والتفريق بين المسلمين ومحاولة إفساد عقيدتهم وأخلاقهم، فكم من فتنة أثاروها خلال العصور ولم تُكتشف أسبابها إلا بعد مرور فترة من الزمن.

فهم يضعون مُخططات قد تظهر نتائجها بعد خمسين أو مائة سنة، فانظر إلى فتنة خلق القرآن مثلاً ستجد أن من حركها هم اليهود، ولكن دين الله عزيز، والله ينصره.

لذلك وكما أكدت في اللقاءات الماضية، يجب علينا أن نؤمن بكل أسماء وصفات الله التي وردت في كتابه وسُنة رسوله ﷺ من غير تعطيل أي تحريف ولا تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، ولا تفويض.

كذلك نحن نؤمن بصفات الله على الوجه الذي يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١]

وكما تحدثت في الدرس الماضي عن عقيدة الأشاعرة والتي ظهرت عندما رفض الناس نفي الصفات تطبيقاً لفكر المعتزلة، وقالوا كيف ننفي عن الله صفة الإرادة وغيرها من الصفات التي وردت في كتابه وسُنة رسوله.

من هنا ظهر فكر الأشاعرة الذين أثبتوا الأسماء وسبعة من الصفات فقط، وعرفت لديهم بالصفات الثبوتية وهي
(العلم - الحياة - القدرة - الإرادة - السمع - البصر - الكلام)
ونفوا باقي الصفات لله -عز وجل-.

♦ موقف الأشاعرة والمعتزلة من نصوص الكتاب والسُنة:

هناك موقفان للأشاعرة والمعتزلة من نصوص الكتاب والسُنة:-

● الموقف الاول:

الإيمان بألفاظها وتفويض معانيها، أي إثبات اللفظ من غير معرفة وتفسير معناه، فَيُثبتون الألفاظ فقط.

قالوا نحن نؤمن بالألفاظ لأنها واردة في كتاب الله وفي سُنة نبيه ﷺ، ولكن نُفوض المعنى بأن نقول لا نعرف المعنى الله أعلم به.

مثال:

في قوله تعالى،

{ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا}

[سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٥٩]

أراد الأشاعرة إثبات لفظ الاستواء من غير معرفة معناه، فَيثبتون الألفاظ فقط، (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ثم يقولون: لا ندري معناه، ولا ماذا أراد الله به!!

الرد على هذه الشُبهة:

وهذا بلا شك باطل وتمييع للأمر .

والمعنى صحيح، وهو إثبات اللفظ ومعناه الذي يدل عليه، ثم تفويض علم كيفيته إلى الله، فَنُثبت لله تعالى أسماءه الحسنى، وصفاته العُلى، ونعرف معانيها ونؤمن بها، غير أننا لا نعلم كيفيتها.

فنؤمن بأن الله تعالى قد استوى على العرش، استواءاً حقيقياً يليق بجلاله سبحانه، ليس كاستواء البشر، ولكن كيفية الاستواء مجهولة بالنسبة لنا؛ ولذا، فإننا نفوض كيفيته إلى الله، كما قال الإمام مالك وغيره لما سئل عن الاستواء فقال:

"الاستواء معلوم، والكيف مجهول".

✅كيف نثبت لله تعالى أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، ولا نعرف معانيها ونؤمن بها، إن العبد عندما يعرف الله -عزَّ وجل- ويؤمن بصفاته ويتدبرها، يتيقن قلبه بالله -عز وجل- ويُقبل على الطاعة، عندما يعرف أن الله رحيم، يُكثر من التوبة والاستغفار، وحين يعرف أن الله -عزَّ وجل- له صفة العلو، يتعلق قلبه بالله ويعرف أن الدنيا فانية.

✅إن من المعلوم أن الله تعالى أمرنا أن نتدبر القرآن وحضّنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟!

وقد وردت آيات كثيرة جداً في كتاب الله فيها صفات الله -عز وجل- ولو قلنا إن كل الآيات التي وردت فيها صفات الله لا نعلم معناها، فكيف نتدبر القرآن كما قال الله -عز وجل- {كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ} [سُورَةُ صٓ: ٢٩]

●الموقف الثاني:

صرف هذه النصوص عن مدلولها إلى معاني ابتدعوها من عند أنفسهم، فقالوا مثلاً إن يد الله تدل على النعمة والقدرة، والعين تدل على الرعاية، وكل هذه المعاني تأويل وتحريف للنصوص، قال تعالى،

{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: ٦٤]

□ مثال :

ما جاء من الأشاعرة في تأويل معنى الاستواء إلى الاستيلاء في قوله تعالى،

{ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا} [سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٥٩]

قالوا: {استوى} بمعنى استولى، وهذا يُعني أن الله تعالى مستول على المُلك من آخر، وهذا باطل .

أو أن {استوى} بمعنى الاستيلاء الذي يكون بعد قهر وغلبة، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك.

وقد استدلوا على هذه المعاني ببيت شعرٍ لشاعر نصراني يُدعى الأخطل، يقول فيه:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق

□ الرد على هذه الشُبهة:

□ هذا تحريف للنصوص، لأن هذه التأويلات ليس عليها دليل من كتاب الله ولا من سُنة رسوله ﷺ، ونحن نؤمن ونعتقد بكل ما جاء في الكتاب والسُنة، وقاله السلف الصالح.

✓وقد أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سمواته؛ بائن من خلقه وعلمه محيط بجميع خلقه.

✓ليس في كلام العرب ألبتة استوى بمعنى استولى

✓واستواء الله جل في علاه على عرشه استواء يليق بجلاله سبحانه ليس كاستواء المخلوقين، فكما أن ذاته سبحانه لا تُشبه ذوات المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشبه صفاتهم.

✓هذا البيت ليس من شعر العرب، لأنه لم يأت نقل صحيح أنه شعر عربي، وهو غير معروف في شيء من دواوين العرب وأشعارهم التي يُرجع إليها.

□ كذلك قال الأشاعرة
(أن طريقة السلف أسلم، وطريقتهم أعلم وأحكم)

أي أن الصحابة آمنوا بما ورد في الكتاب والسُنة ولم يفسروها، ونحن الخلف أعلم من الصحابة وأحكم بالمعاني - وهذا حال كل مغتر بنفسه-

□الرد على هذه الشُبهة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسُنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول).

أولئك أصحاب محمد، أُمناءٌ وعُدلٌ، أبر هذه الأُمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

لابد من الإيمان بأسماء الله -عزَّ وجل- وصفاته من غير تعطيل -أي من غير نفي للصفات- ولا تحريف.

والتحريف نوعان:

- تحريف لفظي:

وهو التغيير في لفظ الآية أو الحديث كَتحريف بعض المعتزلة التشكيل في لفظ الجلالة (الله) في قوله تعالى،

{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]

فجعلوا لفظ الجلالة (الله) بالفتح بدلاً من الضم، فيصبح الله مفعولاً به -أستغفر الله العظيم- بدلاً من كونه فاعل، فيكون المعنى أن موسى هو من كَلَّمَ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

□ هذا تحريف في الآية، حتى ينفوا صفة الكلام عن الله -عز وجل- ومن هنا كانت بداية فتنة خلق القرآن التي أقنع بها أحمد بن أبي دؤاد المأمون، وامتُحِن فيها الإمام أحمد بن حنبل.

فهم أرادوا القول بأن القرآن مخلوق، أي أن الله تعالى لم يتكلم به، ولكن قال له كن فيكون، وهذا غير صحيح، لهذا حدثت فتنة عظيمة تناوب عليها ثلاثة من الخلفاء أبناءها هارون الرشيد، حتى رفع الله هذه الفتنة على يد الخليفة المتوكل، وسوف اشرح ذلك بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله.

✅ومما يدل على إثبات صفة الكلام لله -عزَّ وجل- قوله تعالى،
{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: ١٤٣]
فهل يستطيع هؤلاء تحريف (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) ؟

لا يستطيعون تحريفها، فهي لا تحتمل إلا وجهاً واحداً، (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) حتى تُثبت صفة الكلام لله -عز وجل- وتؤكد أن الله تعالى هو من كلم موسى -عليه السلام-.

هكذا دائماً أهل البِدع، سبحان الله! لابد أن يُقيم الله -عزَّ وجل- عليهم الحُجج، فكما قالوا أن يد الله تدل على النعمة أو القدرة، كان قول الله تعالى، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة ٦٤]

فلا نستطيع أن نقول نعمتاه أو قدرتاه، لأن الصفة المعنوية لا تُثنى، كذلك لا يصلح القول بأن فلان لديه رحمتان أو عشر رحمات بالناس.

● التحريف المعنوي:

وهو تحريف المعنى بحيث يبقى اللفظ على ما هو عليه، ولكن يُحرف المعنى، أي يأتي بمعنى ليس عليه دليل من كتاب الله ولا من سُنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ويدخل في التحريف، التأويل المذموم الذي اتبعه بعض الخلف لشُبهات عقلية فاسدة.

□ مثل تحريفهم معنى الاستواء في قوله -عز وجل- {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥] فقالوا بمعنى استولى .

✓هذا باطل، ومعنى قوله تعالى، {ثم استوى على العرش} أي عَلا عليه وارتفع، وهو منقول عن حبر الأمة وتُرجمان القرآن عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنه- وعن مجاهد وأبي العالية وإسحاق بن راهويه.

فإنهم يُثبتون استواء الله على العرش ولا يُنفونه ولا يُكيفونه، فنحن نجهل كيفية استوائه سبحانه وتعالى، لأننا نجهل كيفية ذاته.

✅الاستيلاء الذي فسروا به الاستواء يُراد به الخلق أو القهر أو الغلبة أو الملك أو القدرة عليه، ولا يصح أن يكون شيء منها مراداً في قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}

✅الله سبحانه وتعالى مستول على جميع المخلوقات، كذلك لا يطلق الاستيلاء إلا في حق من كان عاجزاً ثم غلب وقهر، والله سبحانه لا يُعجزه شيء.

ويُمكنكم الرجوع إلى تفسير معنى استوى للشيخ السعدي في قول الله -عزَّ وجل-
{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٩]

□ ومثل تحريفهم في حديث النبي ﷺ،
«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ "»[رواه البخاري ١١٤٥]

فيقولون: (ينزل أمر الله) أو (ينزل ملك) حتى ينفون عن الله صفة النزول.

✓هذا كله تحريف معنوي، لأنه إذا قال رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى" ولم يقل ينزل أمر ربنا أو ينزل ملك، فمعنى هذا أن الله تعالى هو الذي ينزل، لأن الرسول ﷺ {وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ} {إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ} [سُورَةُ النَّجۡمِ: ٣-٤]

✓قال شيخ الإسلام ابن تيمية، أن نؤمن بما وصف الله -عزَّ وجل- به نفسه ووصفه به رسوله من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل - ولم يَقُل شيخ الإسلام- ولا تأويل.

لأن كلمة تأويل لفظة لها معانٍ مشتركة، فمنها تأويل حميد، وهو ما وضحه شيخ الإسلام بمعنى التفسير وهذا الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن، وهناك تأويل مذموم.

وإن شاء الله سنأتي على معاني التأويل بالتفصيل، واذكر الآيات التي ورد فيها التأويل.

لذا كان شيخ الإسلام حريصاً ودقيقاً على أن يَنفي ما نفاه الكتاب والسُنة، ويُثبت ما أثبته الكتاب والسُنة، فلم يذكر لفظ التأويل لأنه يحمل معان مشتركة، وذكر لفظ التحريف، لأن الله تعالى ذم التحريف في قوله تعالى،

{مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ}

[سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤٦]

وكذلك قوله -عز وجل-
{ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ}
[سُورَةُ المَائِـدَةِ: ٤١]

- أما الأشاعرة والمعتزلة فقد سموا التحريف تأويلاً، لأنهم سموا نصوص آيات الصفات، نصوصاً متشابهة -أي من المتشابهات- وبما أنها من المُتشابه، فهي تحتاج إلى تأويل، وهذا باطل.

وخِتاماً، إن هذه التأويلات من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، وافتراءاً وسوء أدب مع الله -عز وجل- وهي من باب الكذب على الله وعلى رسوله وكتابه.

(الدرس الخامس)

(معاني التأويل الثلاثة)

□ وفي هذا الدرس سوف أتحدث عن:

□ معاني التأويل الثلاثة.

كما ذكرنا هناك موقفان للأشاعرة والمعتزلة من نصوص الكتاب والسُنة، أحدهما الإيمان بألفاظها وتفويض معانيها، أي إثبات اللفظ من غير معرفة وتفسير معناه، فَيُثبتون الألفاظ فقط - والأخر صرف هذه النصوص عن مدلولها إلى معاني ابتدعوها من عند أنفسهم.

فقالوا مثلاً إن يد الله تدل على النعمة والقدرة، والعين تدل على الرعاية، وكل هذه المعاني تأويل وتحريف للنصوص.

وحيث أن الأشاعرة والمعتزلة قالوا أن هذا تأويل فاليوم سنأخذ معاني التأويل المختلفة، ونعرف معنى التأويل الصحيح ونأتي بالآيات والأحاديث التي وردت فيها لفظ التأويل حتى نفهم معنى التأويل جيداً.

□معنى التأويل:-

يأتي التأويل على ثلاثة معاني مختلفة:

- المعنى الأول:

التأويل هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، وهنا التأويل ليس بمعنى التفسير.

كتأويل الله -عزَّ وجل- عِلمه للنبي، ثم نقل النبي تأويل هذه الآيات للصحابة، والصحابة والتابعون نقلوه للأمة، فهنا لا يُحمل التأويل على التفسير.

والكلام قد يكون أمراً أو خبراً أو نهياً، والخبر كالإخبَار بقيام الساعة وأهوالها وتكوير الشمس
كما قال تعالى،

{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف:٥٣]

فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد، هو ما أخبر الله تعالى به فيه؛ مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك، نحن نعرف الجنة ونعرف فاكهتها ونعيمها فقط كأخبار لكننا لا نعرف حقيقتها.

تأويل هذه الأخبار يكون وقوعها وحدوثها، حين تقع في الجنة ونرى نعيمها فيكون معنى التأويل في الخبر وقوع المُخبر عنه.

كقول الله تعالى في قصة يوسف، لما سجد أبواه وإخوته، {وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ} [يوسف:١٠٠]
أي هذا هو ما يؤول إليه الكلام في حاله الثاني، أي عاقبته وحقيقته التي ينتهي إليها.

والمعنى أن هذه رؤيتي التي رأيتها، قد وقعت، لذلك قال {قد جعلها ربي حقا} أي هذا ما آل إليه أمر رؤياي.

كذلك في قوله تعالى:

{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ}
[سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ٧]

□ وهذه الآية لها قراءتان:-

□ القراءة الأولى: مشهورة هي الوقف اللازم على لفظ الجلالة {وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ}
فنجد علامة الوقف على لفظ الجلالة ٱللَّهُۗ ثم نبدأ {وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ} أي أن الراسخون في العلم يقولون نحن نؤمن بكل ما جاء عن الله-عزّ وجل-.

فالذين يقولون بالوقف على لفظ الجلالة ٱللَّهُۗ إنما أرادوا بذلك التأويل بالمعنى الأول أي الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، فحقيقة ذات الله وكيفية أسمائه وصفاته، وحقيقة الميعاد والغيبيات مثل الجنة والنار لا يعلمها إلا الله، وسيُطلعنا الله -عزّ وجل- على حقيقتها يوم القيامة .

هذا إذا كان الكلام خبراً أو أن يكون الكلام أمراً أو نهيا فيكون التأويل فعل المأمور به أو ترك المنهي عنه.

كقول عائشة -رضي الله عنها-: "كان النبي ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعِهِ وسجودِهِ: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي. يتأول القرآن"

أي: يمتثل ما أمره الله به في قوله تعالى: {فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا} [سُورَةُ النَّصۡرِ: ٣]

- المعنى الثاني:

التأويل بمَعنى التفسير، فهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه، وهذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن.

□ وهنا تأتي القراءة الثانية لقول الله تعالى:

{وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ}

وهذه القراءة بالوَصل بلا وقف، على أن الواو للعطف، وليست للاستئناف، إنما أرادوا بذلك التأويل بالمعنى الثاني وهو التفسير، وكان سيدنا ابن عباس يقول أنا من الراسخين في العلم، فهو حَبر الأُمة وتُرجمان القرآن.

وقد دعا الرسول ﷺ لسيدنا ابن عباس فقال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" فكان إماماً يُهتدى بهداه، ويُقتدى بسناه في علوم الشريعة؛ ولا سيما في علم التأويل؛ وهو التفسير.

وعلى قراءة الوصل يتعين أن يكون المراد به التفسير؛ لأن تفسيره معلوم للراسخين في العلم، الذين هم أفنوا أعمارهم في العلم وفي تعليمه وتدريسه، الذين مَنَّ الله -عزَّ وجل- عليهم بعلمه وتأويل الكتاب وتفسيره، وبذلك فلا يختص علمه بالله تعالى، ولكن لا يصح أن نحمل الآية على الأمور الغيبية لأن الراسخين في العلم لا يعلمون وقت قيام الساعة ولا يعلمون كيفية صفات الرب.

فنحن مثلاً نعلم معنى الاستواء أنه العلو والاستقرار، وهذا هو التأويل المعلوم لنا، لكننا نجهل كيفيته وحقيقته التي هو عليها، وهذا هو التأويل المجهول لنا، وكذلك نعلم معاني ما أخبرنا الله به من أسمائه وصفاته، ونميز الفرق بين هذه المعاني، لكننا نجهل حقائق هذه المعاني وكنْهها الذي هي عليه بالنسبة إلى الله -عز وجل-.

إذاً الراسخون في العلم يعلمون تأويل القرآن دون حقيقة الأمور الغيبية، يفهمون المعاني ولا يعرفون الكيفية، يفهمون

الفرق بين {وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ} {وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ} {وَحُورٌ عِينٞ} [سُورَةُ الوَاقِعَةِ: ٢٠-٢٢] لكن لا يعرفون حقيقة الحور العين، ولا حقيقة الفاكهة ولا حقيقة لحم الطير لأنها من الأمور الغيبية .

• المعنى الثالث

التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مرجوح لدليل يُقترن به.

أي أن معنى التأويل هنا يصرف اللفظ عن معناه الظاهر الواضح إلى معنى آخر غير ظاهر -غير واضح- ولكن لا يجب صرف المعنى إلى معنى آخر إلا مع وجود دليل.

مثال:
يقول الله -عز وجل- في الحديث القدسي
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يقول يوم القيامة: يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده"

هنا يوجد صرف للمَعنى، يقول الله -عز وجل- (مرضت فلم تعدني) والمقصود هو أن الله يحثنا على عيادة المريض، وزيارته والسؤال عنه.

والمعنى الظاهر هو عيادة المريض، ولكن نفينا هذا المعنى الظاهرة عن الله -عز وجل- وهو المرض إلى معنى آخر مرجوح وهو زيارة المريض، لأنه يوجد دليل يُقترن به وهو (أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده) ذلك لأن الله -عزَّ وجل- لا يمرض.

- لكن أي تأويل بغير دليل يعتبر تحريف.

فعندما يقولون استوى بمعنى استولى هذا تحريف، لأن استوى لا يأتي بمعنى استولى إطلاقاً لا لغةً ولا تفسيراً وكذلك لم يأت في حديثٍ عن النبي ﷺ.

وكما ذكرت قول شيخ الإسلام ابن تيمية نحن نؤمن بكل ما وصف الله -عزّ وجل- به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف.

(الدرس السادس)

(التمثيل - التَكييف - التفويض)

الآن سوف نوضح معنى التمثيل في قول شيخ الإسلام ابن تيمية "وجوب الإيمان بأسماء الله -عزَّ وجل- وصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف"

♦معنى التمثيل:

 أي التشبيه أو اعتقاد أن الله -عزَّ وجل- الله يُشبه أحد من خلقه.

وهذا باطل، لأنه يجب الإيمان بأن الله -عزَّ وجل- {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١]

أي ليس يُشبهه تعالى ولا يُماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مُشارك.

وإنما أُجمل النفي في قوله {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ}، لأنه أبلغ في تحقيق الكمال والتنزيه، وفُصل في الإثبات في قوله {وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}

وهي عقيدة أهل السُنة والجماعة، الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات.

كذلك فُصِلَ في الإثبات؛ لأنه أبلغ في تحقيق الكمال، ولأنه ليس من المُستحسن الاستطراد في تفصيل النفي، أو الإجمال في ذكر الإثبات.

فمثلاً إذا قُلت لشخص ما: أنت لست كاذباً، أو لست مُنافقاً، أو لست سارقاً، فهذا ليس مدحاً؛ لكنك تنفي عنه صفات الشر عموماً.

فإذا قُلت له: أنت صادقاً، أنت مُخلصاً، أنت أميناً، فهذا هو المدح؛ الذي يكون بتعدد الصفات الحَسنة.

وهذا هو معنى الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات، أي إثبات صفات الله -عز وجل- وأسمائه على التفصيل {وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ}،
واجمال النفي {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ}

فالله -عز وجل- {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ} {وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ} لا مثيل ولا شبيه له في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ تبارك وتعالى.

- اختار شيخ الإسلام ابن تيمية لفظ التمثيل وليس التشبيه، فكان دقيقاً -رحمه الله- لأن لفظ التمثيل منهي عنه في كتاب الله -عز وجل- حيث نفى الله المثلية فقال: {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ}

وكثيراً من العلماء يستعمل لفظ التشبيه في نفي التمثيل؛ يقولون "من غير تشبيه"، على عكس شيخ الإسلام الذي كان حريصاً في استخدام ما ورد في الكتاب والسُنة.

لكن أصبحت لفظة التشبيه أكثر استعمالاً في نفي الصفات، فإذا استُخدم لفظ التشبيه وهو يقصد به التمثيل فلا بأس من ذلك.

وفي اللغة يعتبر التمثيل والتشبيه لفظان متقاربان في المعنى، وهو أن نُشبه صفات الله -عزّ وجل- بصفات المخلوقين وهذا كله لا يجوز .

كذلك فإن وجود تشابه في اللفظ بين صفات الله وصفات العبد لا يعني التماثل في الحقيقة بل هو تشابه في اللفظ بقدر مشترك في الذهن يُفهم المعنى.

فالخالق جل جلاله أبعد عن مماثلة مخلوقاته، فإذا وصف نفسه سبحانه بأنه حي عليم سميع بصير قدير لم يلزم أن يكون مُماثلا لخلقه؛ فَسمع الله ليس كسمع المخلوق، وبصر الله ليس كبصر المخلوق، صفات الله -عزَّ وجل- تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فالتشابه في اللفظ فقط.

فمثلاً التشابه بين ثمار الجنة وثِمار الدنيا إنما هو في اللون فقط أو في الاسم فقط، دون التماثل في الحقائق. ففي الدنيا رمان، وفي الجنة رمان، لكن رمان الجنة مُختلف تماماً عن رمان الجنة. فهذا اشتراك وتشابه في اللفظ، مع وجود قدر مشترك في الذهن. فليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء.

ومعنى قدر مشترك أي أنك تُدرك تشابه اللفظ مع حقيقة مختلفة. أنت تعلم لفظ السمع أو البصر، فهذا تشابه في لفظ بين سمع الله وسمع المخلوق، دون التماثل في الحقيقة. سمع الله -عزَّ وجل- يليق به {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١]

- مثال:

الله -عزَّ وجل- وصف نفسه فقال:
{إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرٗا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٥٨]

وقال تعالى عن الإنسان:
{إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا}
[سُورَةُ الإنسَانِ: ٢]

هنا أدركت أن الله سميع وبصير مبني على وجود القدر المشترك في ذهنك عن معنى كلمة السمع والبصر، أي أننا أدركنا المعنى العام دون التماثل في الحقيقة. لأن سمع الله وبصره سبحانه يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وهكذا فهمت المعنى وكيفية اتصاف الرب بالسمع والبصر، فالألفاظ فيها تشابه لفظي، بين ما وصف الله به بعض المخلوقين وما وصف الله به نفسه. فَكلمة سميع فيها تشابه، ولكن الحقيقة مختلفة الكيفية، والكيفية في حق الله مجهولة.

نحن لا نعلم الكيفية، لأننا لم نرى الله -عزَّ وجل- في الدنيا ولم يَصفه أحد لنا، فلا نستطيع أن نعرف كيفية صفات الله، لكن يوجد قدر مشترك في الذهن دون التماثل في الحقيقة.

الله -عزَّ وجل- ليس له مثيل وليس له شبيه، قال تعالى:
{هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا}
[سُورَةُ مَرۡيَمَ: ٦٥]

{وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ}
[سُورَةُ الإِخۡلَاصِ: ٤]

{فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ}
[سُورَةُ النَّحۡلِ: ٧٤]

فمن شَبه صفات الله بصفات خلقه لم يكن عبداً لله على الحقيقة، وإنما يعبد وثناً صوره له صورة في خياله، ونحت له فكره فهو من عُباد الأوثان لا من عباد الرحمن.

كما قال ابن القيم:
لسنا نُشبه وصفه بصفاتنا
إن المُشبه عابدَ الأوثان

فإذا صور لك الشيطان صفة من صفات الله -عز وجل- في خيالك؛ فاعلم أن كل ما دار في بالك فالله بخلاف ذلك.

ننتقل الآن إلى معنى التَكييف في عبارة ابن القيم: (وجوب الإيمان بأسماء الله -عزَّ وجل- وصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسولهﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف)

وقد أخذنا معنى التعطيل والتحريف والتمثيل.

♦ معنى التكييف:

التكييف أعم من التمثيل، أن يكون له كيفية في ذهن المُكيف، وهو أن يتصور الإنسان للصفة كيفية في ذهنه يُقدرها.

وأما نفي معرفة الكَيف فهي مأخوذة من قوله تعالى:
{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا}
[سُورَةُ طه: ١١٠]

كذلك قال تعالى:
{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٥]

فقال الإمام الطحاوي في الرؤية:
(يرونه يوم القيامة من غير إحاطة ولا كيفية) فلا نستطيع أن نُحيط بالله -عز وجل-

وقال تعالى:
{لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ}
[سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٠٣]

فَالخلق لا يُحيطون بالله، لا كيفيةً ولا رويةً، وهذا يقتضي أنهم لا يعرفون كيفية صفات الله -عز وجل-.

 وليس نفي التكييف هنا نفي وجود الكيف، فبعض الناس يعتقدون أن نؤمن بصفات الله بلا كيف، (بلا كيف) هذه عبارة ليست صحيحة، لأن الكيف موجود لكنه مجهول.

بل يوجد كيف لصفات الله -عزّ وجل- يد الله لها كيفية، وعين الله كيفية وكذلك استواء الله، لكن كيفية صفات الله مجهولة.

وقد جاء سائل إلى مجلس الإمام مالك فقال: (يا مالك! {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كيف استوى؟ قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا رجل سوء ثم أمر به أن يخرج من مجلسه)

والمقصود، أن الاستواء معلوم معناه في اللغة العربية، أي علا وارتفع على خلقه كما فسره السلف والصحابة، والكيف مجهول غير معلوم فلم يُذكر في الكتاب ولا السُنة، و الإيمان بالاستواء واجب لأنه ثبت في القرآن وفي السنة، والسؤال عن الكيفية بدعة.

لأن السؤال عن الأمور الغيبية بدعة. الأمور الغيبية لا تُدرك إلا من خلال نصوص الوحي، فالسؤال عما جاء في شأنها في نصوص الوحي لا حرج، وأما التكلف في إدراكها بالاجتهادات العقلية والتنبؤات عن المستقبل لا يجوز شرعا.

فنؤمن بأن الله تعالى قد استوى على العرش، استواء حقيقياً يليق بجلاله سبحانه، ليس كاستواء البشر، ولكن كيفية

الاستواء مجهولة بالنسبة لنا؛ ولذا، فإننا نفوض كيفيته إلى الله، كما قال الإمام مالك وغيره.

 وليس نفي التكييف هنا نفياً لوجود الكيف، فهذا نفياً للحقيقة، فَنفي التكييف هنا ليس المقصود به النفي المُطلق ولكن بغير تكييف هنا أي بغير تكييف معلوم، وليس نفي الكيفية مطلقاً لأنه يكون نفياً للحقيقة والوصف نفسه.

إن معرفة كيفية صفات الله يستلزم معرفة كيفية ذات الله -عزَّ وجل- ونحن لم نرى الله -عزَّ وجل- فلا نستطيع أن نعرف كيفية الصفة لأن ذات الموصوف ليست معلومة. هذا ما يجب تطبيقه مع جميع صفات الله -عز وجل-.

♦معنى التفويض:

التفويض هو رد العلم إلى الله.

بعد أن انتهينا من شرح عبارة شيخ الإسلام ابن تيمية (وجوب الإيمان بأسماء الله -عزَّ وجل- وصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولاتمثيل ولا تكييف)

فَالجهمية نفوا الأسماء والصفات، فقالوا إن الله ليس له اسم السميع وليس له صفة السمع، وغيرها من الأسماء والصفات.

أما المعتزلة فقد أثبتوا الاسم ونفوا الصفة. وجاء الأشاعرة فَأثبتوا الأسماء وسبعة فقط من الصفات.

ثم جاء أهل البدع فقالوا بالتفويض.

□أنواع التفويض:

● تفويض الكيف:-

إثبات اللفظ ومعناه الذي يدل عليه، ثم تفويض علم كيفيته إلى الله، فَنُثبت لله تعالى أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، ونعرف معانيها ونؤمن بها، غير أننا لا نعلم كيفيتها. وهذا هو المعنى الصحيح، وهو مذهب أهل السُنة والجماعة.

●تفويض المعنى:-

إثبات اللفظ من غير معرفة معناه، فَيُثبتون الألفاظ فقط،
{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} ثم يقولون: لا ندري معناه،
ولا ماذا أراد الله به !!
وهذا المعنى الذي جاء به أهل البدع، وهذا المعنى باطل.

✓أهل السنة والجماعة يفوضون الكيفية، ولا يفوضون المعنى، بل يُقرُّون به، ويثبتونه، ويشرحونه، ويقسمونه.

مثال:

قال أهل البدع بالتفويض في قوله تعالى: {ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ}
[سُورَةُ الإِخْلَاصِ:٢]
نُثبت اللفظ ٱلصَّمَدُ ولكن نفوض المعنى فلا نعرفه.

ولكن قوله: {اللَّهُ الصَّمَدُ} هذه جملة مستأنفة بعد أن ذكر الأحدية {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} ذكر الصمدية، وأتى بها بجملة معرفة في طرفيها، لإفادة الحصر، أي الله وحده الصمد.

□فما معنى الصمد؟

قيل: إن {الصَّمَدُ} هو الكامل، في علمه في قدرته، في حكمته، في عزته، في سؤدده، في كل صفاته.

وقيل: {الصَّمَدُ} الذي لا جوف له، يعني لا أمعاء ولا بطن، ولهذا قيل: الملائكة صمد، لأنهم ليس لهم أجواف، لا يأكلون ولا يشربون. هذا المعنى روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-

إذا إثبات اللفظ ومعناه الذي يدل عليه، ثم تفويض علم كيفيته إلى الله -عز وجل- كما قال الإمام مالك وغيره في صفة الاستواء. وهذا هو مذهب أهل السُنة والجماعة إثبات صفات الله تعالى، إثباتاً بلا تمثيل ولا تكييف، قال الله تعالى:
{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [سورة الشورى: ١١]

قال الله -عز وجل-:
{كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَك ٌلِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ}
[سُورَةُ صٓ: ٢٩]

أي هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال.

هل آيات الصفات وأحاديثها من المُحكم أم من المُتشابه؟

قال الله -عزوجل-:
{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰت ٌمُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰت ٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغ ٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُل ٌّمِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ} [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: ٧]

الفرق بين المُحكم والمُتشابه:

☆المُحكم:

هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد.

مثال:

قال تعالى:

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} هذه الآية لا تحتمل إلا معنى واحد وهو وجوب إقامة الصلاة.

المُتشابه:

ما يحتمل عدة معاني، لذلك يجب رده إلى المُحكم.

مثال:

قال تعالى:

{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}

[سورة المائدة: ٦٤]

وقوله:

{أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ}

[سُورَةُ يسٓ: ٧١]

وقوله:

{وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ}

[سُورَةُ الرَّحۡمَٰن: ٢٧]

□ هنا قد يُفهم أن يَد الله -عز وجل- كيَد المخلوق، أو وجهه سبحانه كوجه المخلوقين؛ لكن هنا وجب رد المُتشابه إلى المُحكم، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [سورة الشورى: ١١]
يد الله -عز وجل- تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

كذلك قوله:
{إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}.[سُورَةُ الحِجْرِ: ٩]

يعتقد النصارى أن هذه الآية تتحدث عن عقيدة التثليث عندهم (الأب، والابن، والروح القدس) لقوله تعالى (إِنَّا نَحۡنُ) وهذا باطل.

□ (إِنَّا نَحۡنُ) هنا للتعظيم المخاطب المعظم نفسه، وهنا يجب رد المُتشابه إلى المُحكم للرد على هذه الشُبهة.

أي رد الآيات المُتشابهة التي تحمل أكثر من معنى، إلى الآيات المُحكمة التي لا تحمل إلا معنى واحد.

كقوله تعالى:
{لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
[سُورَةُ المَائـِدَةِ: ٧٣]

وقوله:

{لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ} [سُورَةُ المَائـِدَةِ: ١٧]

وكذلك قوله -عز وجل-
{إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ}
[سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ١٩]

✅لذلك وصف الله تعالى أهل الزيغ في قوله:
{فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ}

أي الذين مالوا عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهُدى والرشاد فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ أي يتركون المُحكم الواضح ويذهبون إلى المُتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المُحكم على المُتشابه.

لأن المُتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمُحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه.

أما المُتشابه الذي استأثر الله بمعرفته وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض

للوقوف عليها، فيكون الرد عليه كرد الإمام مالك -رحمه الله- عندما سُئل عن قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}

 إن أهل الحق يردون الآيات المُتشابه إلى الآيات المُحكمة، فَيتسق الكتاب كله. ليس بين الآيات المُتشابه والمُحكمة اختلاف، وجب رد الآيات المُتشابه إلى المُحكمة لِمنع الفتنة والزيغ والتأويل واختلاط الأمور.

والمقصود، هو والتعديل. بلا تشبيه، فَنُنزه الله -عزَّ وجل- تنزيهاً بلا تعطيل. نُثبت صفات الله تعالى دون أن نُشبهها بصفات المخلوقين. تنزيه بلا تعطيل لمراد الله -عز وجل- كما فعل الجهمية والأشاعرة والمعتزلة.

والآيات المُتشابهة كثيرة، فعند الحديث عن نعيم الجنة من فاكهة وخمر وعسل، هذه أمور غيبية، لا يستطيع الإنسان الوصول إليه، والحاصل أن جميع ما في الجنة من أنواع النعيم الموجود جنسه في الدنيا، لا يوجد في الجنة فيه آفة. لذلك وجب رده إلى الآيات المُحكمة.

فمثلاً قد يعتقد البعض عند قراءة قوله تعالى:

{مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ} [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ١٥]

أن خمر الدنيا مثل خمر الجنة، لذلك وجب رد الآية المُتشابهة إلى الآية المُحكمة في قول الله تعالى:

{لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ}
[سُورَةُ الوَاقِعَةِ: ١٩]
لَّا يُصَدَّعُونَ أي لا تُصدع رءوسهم كما تصدع خمرة الدنيا رأس شاربها، ولا وَلَا يُنزِفُونَ أي لا تنزف عقولهم، ولا تذهب أحلامهم منها، كما يكون لخمر الدنيا.

رُويَ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه رأى رجلا انْتَفَضَ لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات -استنكارا لذلك- فقال: "ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رِقَّةً عند مُحْكَمِهِ، ويَهْلِكُونَ عند مُتَشَابِهِهِ".

والمقصود، أن سيدنا ابن عباس -رضي الله عنهما- لما وجد الرجل انتفض عند سماع حديث النبي ﷺ في الصفات، قال: ما الذي جعل هؤلاء يخافون هذا الخوف؟ وما الذي أدى بهم إلى هذا الحال؟ يجدون رِقة عند المُحكم {وأقيموا الصلاة} فيكونوا شديد الالتزام بالأمر والنهي، ويأتي عند الأمور الغيبية -وهي من المُتشابهة- فيهلكون بردِها وتكذيبها.

القرآن العظيم كله مُحكم، فهو مشتمل على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان وكله متشابه في الحسن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته لفظاً ومعنى.

فمنه ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ أي واضحات الدلالة، ليس فيها شُبهة ولا إشكال هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ أي أصله الذي يرجع إليه كل مُتشابه وهي معظمه وأكثره.

ومنه آيات أُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ أي يلتبس معناها على كثير من الأذهان، لكون دلالتها مُجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها.

فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة.

ونحن نُأصل عقيدة السلف لأن عقيدة أهل السنة والجماعة هي العقيدة الحقة،
وعقيدتهم في أسماء الله وصفاته، الإيمان بها، وامرارها كما جاءت، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

(الدرس السابع)

(نماذج عملية على بعض صفات الذات وصفات الأفعال)

□ الآن سوف نتناول نماذج عملية على بعض الصفات الذات وصفات الأفعال، وسوف يكون المرجع الأكبر فيه من كتاب العقيدة الواسطية.

بالفعل تناول النماذج على الأسماء يحتاج إلى شرح أسماء الله الحسنى، وأسماء الله الحسنى لها قناة خاصة بها، يتم من خلالها شرح كل اسم في ثلاثة أو خمس دروس.

أسأل الله -عز وجل- أن يفتح علينا وأن يُبارك في هذه الدورة، وأن يُيسر لنا أمرنا وأن يعيننا على طاعته ومرضاته.

اتفقنا على وجوب الإيمان بأسماء الله -عزَّ وجل- وصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ.

□ الفرق بين صفات الذات وصفات الأفعال؟

قسم العلماء الصفات إلى صفات ذات وصفات أفعال:

□ صفات الذات

هي صفات الرَّب -عز وجل- الغير متعلقة بالقدرة والمشيئة، لأن كمال الصفة الذاتية أن لا تتعلق بالقدرة والمشيئة، كالحياة والعلم والقدرة والسمع والحكمة وما أشبه ذلك من صفاته المعنوية.

الصفات الذاتية لم يزل الله -عز وجل- ولا يزال متصفاً بها، فهي لا تنفك عن ذات الله، ولا تتعلق بالقدرة والمشيئة.

فمثلاً صفة الحياة من صفات الذات، فلا نقول -والعياذ بالله- الله حي إذا شاء، لأن الله -عزَّ وجل- له الحياة المُطلقة. إذاً صفة الحياة لا تتعلق بالمشيئة، بل في الحقيقة إن صفة الحياة من لوازم المشيئة.

من الصفات الذاتية أيضاً صفة الوحدانية، قال تعالى: {وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ} [سُورَةُ الإِخۡلَاصِ: ٤]

كذلك صفة القدرة لا يُمكن القول أن الله قدير إذا شاء -حاشى لله- صفة القدرة صفة ذاتية لله لا تتعلق بالقدرة والمشيئة، بل من لوازم المشيئة.

□ الصفات الفعلية:

هي الصفات المتعلقة بالقدرة والمشيئة. كالضحك والرضا والغضب والسخط.

فَصفة الرحمة مثلاً من الصفات الفعلية، لأنها تتعلق بالمشيئة، فالله -عز وجل- {يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ} [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٢١] يرضى عن من يشاء ويغضب على من يشاء، فهذه تُسمى صفات الأفعال متعلقة بالقدرة والمشيئة فالله {فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ} [سُورَةُ البُرُوجِ: ١٦]

□الرد على أهل البدع الذين ينكرون صفات الأفعال ويُأولونها إلى صفة الإرادة.

كما وضحت أن الجهمية والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم من الفِرق ينكرون الصفات عامة، وأن الجهمية ينفون الإسم والصفة، المعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفة، ثم جاء الأشاعرة لتُثبت سبعة فقط من الصفات.

أهل البدع يُنكرون كل صفات الأفعال لأنهم يعتقدون أن أفعال الله تتعلق بزمن، وكل الأفعال عندهم مخلوقة، والله -عز وجل- خالق لذلك هم يُنكرون كل صفات الأفعال بهذه الحُجة.

وبهذا هم يؤلون هذه الأفعال إلى صفة الإرادة، وأنه لا يصح أن تُنسب هذه الأفعال إلى زمن معين، وهذا كله مردود بالعقل والنقل.

✅الله -عزّ وجل- يحدث من أمرِهِ ما يشاء قال الله تعالى:
{وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ} [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ٥]

✅فإذا تحدثنا مثلاً عن صفة الكلام لله -عزَّ وجل- نجد أن الله تعالى تكلم بالقرآن والتوراه والإنجيل ولم يزل متكلماً،

فإنه تكلم في الماضي وتكلم بالقرآن وبالتوراه وبالإنجيل ولم يزل سبحانه وتعالى متكلماً.

✅كذلك خَلقُ السماوات والأرض، قال تعالى: {ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ}
[سُورَةُ الفُرْقَانِ: ٥٩] تكلم الله -عز وجل- في الآية عن زمن معين خلق فيهِ السماوات والأرض، ولم يزل خلقه قائما إلى أن تقوم الساعة.

✅صفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد، ومعنى قديم النوع أي أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن؛ ومعنى حادث الآحاد أن أن آحاد كلامه -عز وجل- أي الكلام المعين المخصوص حادث؛ لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء.

♦نماذج من صفات الذات:

●صفة الوجه.

قال الله -عزَّ وجل-
{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} {وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ}
[سُورَةُ الرَّحْمَٰن: ٢٦-٢٧]

وقوله تعالى:

{وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٧٢]

حديث البخاري:

"جنَّتانِ مِن فضَّةٍ آنيتُهما وما فيهما وجنَّتانِ مِن ذهَبٍ آنيتُهما وما فيهما وما بَيْنَ القومِ وبَيْنَ أنْ ينظُروا إلى ربِّهم إلَّا رِداءُ الكِبْرِ على وجهِه في جنَّةِ عَدْنٍ"

كذلك قول الله -عز وجل-

{كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ} [سُورَةُ القَصَصِ: ٨٨]

هذه الآيات والأحاديث تدل على صفة الوجه لله -عزَّ وجل-.

● صفة اليد.

قال تعالى:

{قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ} [سُورَةُ ص: ٧٥]

قال الله -عز وجل-

{وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ}

[سُورَةُ المَائِدَةِ: ٦٤]

قال الله تعالى:

{تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ} [سُورَةُ المُلْكِ: ١]

وقال رسول الله ﷺ:
"إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ علَى مَنابِرَ مِن نُورٍ، عن يَمِينِ الرَّحْمَنِ عزَّ وجلَّ -وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ- الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وما وَلُوا"

فهل كِلْتا يَدَي الله يَمين؟

كما وضحت، نحن نؤمن بما جاء من صفات الله -عز وجل- في الكتاب والسُنة، ولا نعرف الكيفية، ولا نسأل عنها؛ فلكي نعرف وجه الله ويد الله -عز وجل- لابد أن نرى أو يصفه أحد لنا، ونحن لم نرى الله تعالى في الدنيا ولا يستطيع أحد أن يصفه لنا، لذلك نؤمن بها كما جاءت.

قال البغوي: قال أبو سليمان الخطابي: "ليس فيما يُضاف إلى الله -عز وجل- من صفة اليدين شمال، لأن الشمال على النقص والضعف، وقوله (وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ) هي صفة جاء بها التوقيف، فنحن نُطلقها على ما جاءت، ولا نُكيفها، وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والأخبار الصحيحة، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

وقال رسول الله ﷺ:
"إنَّ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا"

وجاء في حديث البخاري:
"جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله -عز وجل- يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول : أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ} [سُورَةُ الزُّمَرِ: ٦٧]"

إذاً كلتا يدي الله -عز وجل- يمين.

●صفة الساق.

قال الله -عزَّ وجل-
{يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ}
[سُورَةُ القَلَمِ: ٤٢]

فسره النبي ﷺ في حديث البخاري فقال:
"يكشِف ربُّنا عن ساقِه، فيسجدُ له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فيبقى كلُّ مَن كان يسجدُ في الدنيا رياءً وسُمْعةً، فيذهبُ ليسجدَ، فيعودَ ظهرُه طبقًا واحدًا".
أي لا يستطيعون الانحناء ولا السجود؛ لأنهم ما كانوا في الحقيقة يسجدون لله في الدنيا، وإنما كانوا يسجدون رياءًا ونفاقاً.

وأثبت ذلك النبي ﷺ، فقد ورد في البخاري ومسلم أن الله تبارك وتعالى يلقى أهل النار في جهنم فوجاً فوجاً، فيقول: هل امتلأت، فتقول: هل من مزيد، حتى يضع الرب -جل جلاله- قدمه فيها، فينزوي بعضها على بعض، وتقول: قط، قط.

- صفة العينين.

من الصفات الذاتية الثابتة لله -عزّ وجل- قال تعالى:
{وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ}
[سُورَةُ القَمَرِ: ١٣-١٤]

وقوله -عز وجل-
{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ} [سُورَةُ طه: ٣٩]

الرد على أهل البدع الذين ينكرون صفات الذات.

ذهب الأشاعرة والمعتزلة إلى تحريف هذه الصفات الذاتية وتأويلها تأويلاً مذموماً ليس عليه دليل من الكتاب والسُنة. فهم يعتقدون أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ وهذا باطل.

فأهل البدع يظنون أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن، والحديث من غير فقه. ولا ريب في أن مذهب السلف هو إثبات صفات الله -عز وجل- على حقيقتها من غير تأويل، ولا تكييف، ولا تمثيل ولا تفويض كما وضحت.

- يرى أهل البدع أن اليد تدل على القدرة والنعمة، والوجه يدل على الذات أو الرعاية والقدم تدل على المقام العظيم، والساق علامة على شدة الأمر أي اشتداده وهوله وهذه كلها تأويلات باطلة.

- قام أهل البدع بهذه التأويلات المذمومة بحجة أنها تقتضي التشبيه كما وضحت.

- هم يظنون أننا إذا أثبتنا لله -عز وجل- وجه فهذا تشبيه للمخلوق،

- والرد عليهم:

الوجه الأول:
أن الله ـ أثبت لنفسه الأسماء والصفات، وأثبتها له رسوله ﷺ.

أما أهل البدع ليس لتأويلاتهم دليل من الكتاب والسُنة، ولم تأتي على لسان الصحابة، وإنما جاءوا بها ليَنفوا عن الله مُشابهة الخلق.

الوجه الثاني:

إثبات هذه الصفات لا يستلزم التشبيه، فإن لله -عزَّ وجل أسماء وصفات تخصه، وللمخلوقين أسماء وصفات تخصهم، فكما أن لله سبحانه ذات لا تُشبه ذات المخلوقين، كذلك صفات الله لا تُشبه صفات المخلوقين، والإشتراك في الاسم والمعنى لا يوجب الإشتراك في الحقيقة.

فقد وصف الله سيدنا إسحاق بأنه عليم {قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ}
[سُورَةُ الحِجۡرِ: ٥٣] لكن علم الله -عز وجل- يختلف عن علم سيدنا إسحاق؛ الله يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون. ووصف الله سيدنا إسماعيل بأنه حليم {فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ} [سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ١٠١]؛ ولكن حلم الله يختلف عن حلم سيدنا إسماعيل.

إن لله وجه وقدم وساق ولكن تليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١]
يد الله ليس كيد المخلوق -وكِلْتا يَدَيْهِ يَمِينٌ-

✅الوجه الثالث:

أن الذي ليس له صفات كمال، لا يصلح أن يكون إلهًا، ولهذا قال إبراهيم -عليه السلام- لأبيه:
{لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا}
[سُورَةُ مَرۡيَمَ: ٤٢]

فعندما نَنفي صفات الرحمة، والضحك، والاستواء، والكلام وغيرها عن الله -عز وجل- فإن هذا يقتضي أن الله -حاشاه-

إما معدوماً وإما ناقصاً، والله تعالى مُنزه عن ذلك له الكمال المطلق.

والذين نفوا صفات الله بدعوى التنزيه وقعوا في تشبيه الله بالجمادات الخسيسة التي لا تسمع ولا تُبصر ولا يعقل؛ بل ليس له حياه بالكلية وقد أنكر الخليل إبراهيم على أبيه أنه يعبد مالا يسمع ولا يبصر.

فالذين يُنكرون صفات الله يجعلون لهذا الكافر حُجة على إبراهيم الخليل، فيمكنهم أن يقولوا وأنت كذلك تعبد ما لا يسمع ولا يُبصر -تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً-.

وقد عاب الله على الكافرين أن آلهتهم لا تسمع دُعائَهم، ولو أسمعهم الله فهم أعجز من أن يستجيبوا لهم.
قال الله -عزّ وجل-:
{إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ}
[سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٤]

وقال تعالى في الرد على الذين عبدوا العجل:
{أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ}
[سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ١٤٨]

وبما أن الله سبحانه وتعالى عاب عليهم أنهم عبدوا العجل الذي لا يُكلمهم، وعاب عليهم أنهم لا يسمعوا الدعاء، فبلا شك أنه -عز وجل- مُتصف بالسَمعِ والكلام ومتصف بما عابه على هؤلاء .

✅الوجه الرابع:
أن هذه التأويلات الباطلة ليس عليها دليل من الكتاب والسُنة.

فليس هناك دليل على أن اليد بمعنى القدرة، وأن استوى بمعنى استولى، وهذا سوء أدب مع الله -عزَّ وجل- لأن الله سبحانه أثبت هذه الصفات، فتأويلها هذه التأويلات الباطلة ونفيها عن الله لا يليق، لأن الله هو الذي أثبتها لنفسه.

وكأن هذا يقول إنك يارب لم تصف نفسك بما يليق بك، وأنا أعرف ما يليق بك، فأَولَهُ هذه التأويلات، والصحيح أن هذا تحريفاً.

فصفة اليدين مثلاً أثبتها الله -عزَّ وجل- لنفسه، فلا يجوز للعبد بعد ذلك أن يقول إن اليد التي وصف الله -عزَّ وجل- بها نفسه هي جارحة أي جزء من الأجزاء، فمن قال أن يد الله سبحانه جزء من الأجزاء؟!

اليد جزء منك أنت كشخص -كإنسان- اليد جزء من ذاتك جزء منك لكن هي ليست أجزاء ولا أبعاض لله -عزَّ وجل- وهذا لا يليق بالله، وقلتم نحن نعلم بما يليق بالله، فصرفتم اللفظ الذي ورد إلى معنى آخر - النعمة والقدرة- وهذا خطأ.

قال تعالى:
{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}
[سُورَةُ المَائِـدَةِ: ٦٤]

إذا كانت اليد تدل على النعمة أو القدرة كما زعموا، فإن الصفة المعنوية لا تُثنى، فلا يصح القول بأن هناك نعمتان أو قُدرتان، أو أكثر من ذلك.
فكذلك لا يجوز للعبد أن يقول في قول الله {بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ} قدرتاه أو نعمتاه .

● صفة السمع والبصر.

أثبت الله -عزَّ وجل- لنفسه صفة السمع المُحيط بجميع المسموعات، والبصر المُحيط بجميع المُبصرات، وهاتان الصفتان من الصفات الذاتية وهما متضمنان اسم الله السميع البصير.

قال تعالى:
{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا}
[سُورَةُ النِّسَاءِ: ٥٨]

وقال الله -عز وجل-
{لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١]

كذلك قال تعالى:

{قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا} [سُورَةُ الكَهۡفِ: ٢٦]

قال ابن جرير -رحمه الله- وذلك في معنى المُبالغة والمَدح، كأنه قيل ما أبصره وما أسمعه، أو ما أبصره لكل موجود وأسمعه لكل مسموع.

ورُوي عن قتادة عن قوله تعالى:
{أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ} فلا أحد أَبصر من الله ولا أحد أَسمع .

وقال تعالى لهارون وموسى:
{قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ}
[سُورَةُ طه: ٤٦]

قال ابن عباس: أسمع دُعائكما فأُجيبه، وأَرى ما يُراد بكما فأَمقُتُه، ولست بغافلٍ عنكما فلا تَهتما.

والمقصود أن الله -عزّ وجل- يسمع دُعاءهم ويستجيب لهم، ويرى ما يُراد بهما من الأعداء فَيمقُته، ما يُريد الأعداء بهما.

قال تعالى:
{أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ}
[سُورَةُ الزُّخۡرُفِ: ٨٠]

وقال تعالى:
{أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ}

[سُورَةُ العَلَقِ: ١٤]

قال تعالى:{وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ} [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ١٠٥]

قال تعالى:{لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ} [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ١٨١]

قال تعالى:
{قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ}
[سُورَةُ المُجَادلَةِ: ١]

عَن عائشةَ، قالَت: "الحمدُ للهِ الذي وسِعَ سمعُه الأصواتَ، لقَد جاءتِ المُجادلةُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ تُكَلِّمُه في جانبِ البيتِ ما أسمعُ ما تقولُ فأنزلَ اللَّهُ -عزَّ وجلَّ- {قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ}

السمع والبصر صفتان ثابتتان لله -عزّ وجل- وقد وصف الله الإنسان بالسمع والبصر فقال تعالى:
{إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا}
[سُورَةُ الإِنسَانِ: ٢]

لكن سمع الله -عزَّ وجل- وبصره ليس كسمع المخلوق وبصره؛ فسمع المخلوق وبصره محدود في أبعاد معينة

وبكيفية معينة، الكلب يسمع أكثر منك ويسمع على أبعاد أكثر، وكلاكما مخلوق، فما بالكم بالخالق المهيمن على كل المخلوقات!

ثم إن المخلوقات نفسها تتفاوت في الصفات بينها وبين بعض، وهذا من عظمة الخالق وقدرته، الإنسان مخلوق والكلب -أعزكم الله- مخلوق أيضاً، لكنَّ الكلب يسمع عند ٤٠ ألف هيرتز (Hz)، والإنسان يسمع عند ٢٠ ألف هيرتز (Hz)، أي أن الكلب يسمع ضعف سمع الإنسان، فَيستطيع الكلب بذلك أن يسمع أبعد من للإنسان، فإذا كنا نحن كمخلوقات نتفاوت في الصفات فكيف بالخالق!!

إن سمع الله -عزَّ وجل- وبصره لا تحده حدود، قال تعالى:
{سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ} [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ١٠]

فيستوي عنده -عزَّ وجل- من أَسرَّ القول ومن جهر به، ومن يسير في الظلام ومن يتحرك في وضح النهار، نعم الكل مكشوف عند الله -عزَّ وجل- فالله تعالى لا يشغله سمع عن سمع، ولا تخالطه كثرة المسائل.

الله -عز وجل- يسمع كل الخلائق الإنسان والجن والأولين والآخرين، إذا اجتمعوا في مكانٍ واحد واجتهدوا في الدعاء وانزال الحوائج والرغائب به -عز وجل- يسمعهم جميعاً. كما قال الله -عزّ وجل- في الحديث القدسي:
"ويا عبادي ! لو أنَّ أوَّلَكم وآخرَكم وجِنَّكم وإنسَكم اجتمَعوا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني جميعًا فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ منهم

مسألتَه لم يُنقِصْ ذلك ممَّا عندي إلَّا كما يُنقِصِ المَخيطُ إذا غُمِس في البحرِ."

□ والشاهد، أنه إذا اجتمع الخلائق جميعاً في أرضٍ واحدةٍ ومُقامٍ واحدٍ، وقيَّدَ السُّؤالَ بالاجتماعِ في مَقامٍ واحدٍ؛ لأنَّ تَزاحُمَ السُّؤالِ وازدحامَهم ممَّا يُدهِشُ المسؤولَ، ويَبْهَتُه، ويُعسِرُ عليه إنجاحَ مَطالبِهم، ولكنَّ ذلك يَسيرٌ في قُدرةِ اللهِ وسَعةِ خَزائنِه.

فإنَّهم لو وَقَفوا ذلك الموقفَ، فطَلَبوا كلُّهم أجمعونَ مَطالِبَهم، فأعطى الله سُبحانه كلَّ إنسانٍ وكذا كلُّ جِنِّيٍّ مسألَتَه، في آنٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ ما نَقصَ ذلك الإعطاءُ مِمَّا عند الله -عز وجل- إلَّا كَالشَّيْءِ الَّذي يَنقصُه المِخْيَطُ -وهو ما يُخاطُ به الثَّوبُ كَالإبرةِ ونحوِها- إذا أُدخِلَ البحرَ؛ فإنَّ البحرَ إذا غُمِسَ فيه إبرةٌ، ثُمَّ أُخرجَتْ لم يَنقُصْ مِنَ البحرِ بِذلك شيءٌ.

والمرادُ بهذا ذِكرُ كَمالِ قُدرتِه سُبحانه، وكَمالِ مُلكِه، وأنَّ مُلْكَه وخَزائنَه لا تَنفَدُ، ولا تَنقُصُ بالعطاءِ، ولوْ أعْطى الأوَّلِين والآخِرِين مِن الجِنِّ والإنسِ جميعَ ما سَألوه في مَقامٍ واحدٍ.

فعلم الله وسمعه وبصره محيط بكل موجود، لا تحده الأزمنة والأمكنة، فعَلِمَ الأشياء من قبل أن توجد، ولذلك كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، وهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.

أيضاً روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: "كُنَّا مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في

سفَرٍ، فَكُنَّا إذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: أيُّها النَّاسُ ارْبَعُوا علَى أنْفُسِكُمْ، فإنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولَا غَائِبًا، ولَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قريبا"

أيِ ارْفُقوا بأنفُسِكم، فمَن تَدْعونَه هو السَّميعُ البَصيرُ، يَسمَعُ سِرَّكم ونَجْواكم، ولا يَخْفى عليه شَيءٌ مِن قَولِكم، قَريبٌ مِنكم، يَأمُرُهم النبي ﷺ بخَفضِ أصْواتِهم، فلا يَنْبَغي للإنْسانِ أنْ يَشُقَّ على نفْسِه في أداءِ العِباداتِ. فإن رفع الصوت يفعله الإنسان لبُعد من يُخاطبه ليسمعه.

إن الله -عز وجل- ليس بأصم ولا غائب، بل هو سميعٌ قريبٌ، وهو معكم بالعلم والإحاطة، ففيه الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدعوا الحاجة إلى رفعه، فإن خفضه أبلغ في توقيره وتعظيمه.

إن صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وأسماء الله كلها حُسنى متضمنة لصفات كاملة كما قال تعالى {وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ١٨٠]، فلنقف مع أنفسنا بعد الدرس وقفة ونسأل أنفسنا ما الذي تعلمناه من الدرس، وكيف يمكننا العمل بما تعلمنا.

(الدرس الثامن)

(نماذج على بعض صفات الذات)

♦في هذا اللقاء سوف:

- نكمل الحديث عن بعض صفات الذات
- صفة الحياة.
- صفة القيومية.

أسأل الله -عز وجل- أن يُيَسر لنا أمرنا وأن يفتح لنا.

- اقتران صفة الحياة والقيومية:

جاءت هاتان الصفتان مقترنتين في ثلاثة مواضع:-

- قال الله -عزَّ وجل-

{ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَىُّ ٱلۡقَيُّومُۚ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٥]

الله -عزَّ وجل- من أسماءه الحي القيوم، بل إن بعض أهل العلم ذكر أن الحي القيوم هو الإسم الأعظم.

 قال تعالى:
{ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَىُّ ٱلۡقَيُّومُ}
[سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ٢]

 قال تعالى:
{وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَىِّ ٱلۡقَيُّومِۖ}
[سُورَةُ طه: ١١١]

●صفة الحياة.

الحي: أي الدائم الباقي، الذي له كمال الحياة التي لا سبيل للفناء عليه.

 وقد ورد أن الحي القيوم هو الإسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أَعطى، وذهب بعض أهل العلم لهذا.

 الحي تدل على جميع الصفات الذاتية،
لأن صفة الحياة تستلزم جميع الصفات الذاتية كاليد والوجه والعينين والإرادة والسمع والبصر وغيرها.

وقيل أن الصفات كلها ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين العظيمين.

 جاءت صفة الحياة منفردة كقوله تعالى:

{هُوَ ٱلۡحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ} [سُورَةُ غَافِرٍ: ٦٥]

وقول الله -عزَّ وجل-
{وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ} [سُورَةُ الفُرۡقَانِ: ٥٨]

□ حقيقة صفة الحياة لا نعرفها، لكن نحن نستطيع أن نُميز بين الحي والميت. الله -عز وجل- وصف نفسه بالحياة ووصف بعض عباده بالحياة، لكن حياة الله -عزَّ وجل- تختلف عن حياة المخلوق، فالمخلوق مهما عاش فحياته إلى فناء، أما حياة الله -عزَّ وجل- لا فناء فيها وهي دائمة.

قال الله -عزَّ وجل-
{وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَىۡءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ} [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٣٠]

وقال تعالى:
{أَوَمَن كَانَ مَيۡتً۬ا فَأَحۡيَيۡنَـٰهُ} [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٢٢]

ووصف بعض الخلق بالحياة، فقال تعالى:
{تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ۬ قَدِيرٌ} {ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلاً۬ۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ} [سُورَةُ المُلۡكِ: ١-٢]

□ والقاعدة أن الصفة التي يوصف بها الله -عزَّ وجل- ويوصف بها المخلوق؛ نؤمن أن صفة المخلوق لائقة بحالهِ، وصفة الخالق تليق بجلاله.

□ الله -عزَّ وجل- له الحياة، والمخلوق له الحياة ولكن حياة الله -عزَّ وجل- تختلف تماماً عن حياة المخلوق، فما يَثبُت لله -عزَّ وجل- غير ما يثبُت للمخلوق.

□ حياة المخلوق سبقها عدم وبعدها موت، وهو متعرض في حياته للنوم، للغفلة، للمرض، وحياة الله -عزَّ وجل- مُنزهة عن ذلك. حياة الله -عز وجل- أولية أبدية، فحياته سبحانه لم يسبقها عدم فهي أولية، وأبدية لم يعقبها موت، تعالى الله عن ذلك؛ وهو سبحانه {لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٥]

قال النبي ﷺ: "إنَّ اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، ولكن يخفضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ اللَّيلِ قبل عملِ النَّهارِ، وعملُ النَّهارِ قبلَ عملِ اللَّيلِ"

□ حياة المخلوق تفتقر إلى الطعام والشراب والهواء وملايين العمليات التي تُجرى بداخلهِ كي تستمر الحياة؛ والله -عزَّ وجل- غني عن ذلك كله؛ {وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ} [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٤]

 لما أراد الله أن يَنفي الربوبية التي ادعاها النصارى للمسيح ابن مريم، وأن يُبين ما فيها من صفات النقص اللازم للمخلوق قال -عزَّ وجل-
{مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ}
[سُورَةُ المَائـِدَةِ: ٧٥]

دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستَغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد، مُنزه عن هذا.

●صفة القيوم.

القيوم: أي قائم بنفسه مُقيم لغيره، غنيٌ عن كل ما سواه وكل ما سواه مفتقر إليه؛ فهو سبحانه غنيٌ عن خلقه وخلقه محتاجون إليه.

 القيوم تدل على جميع الصفات الفعلية، لأنه سبحانه قائمٌ بنفسهِ مُقيم لكل ما سواه، وهذا يشمل الأفعال، فالله يرحم من يشاء ويعذب من يشاء، وهو سبحانه استوى على العرش.

 جاءت صفة القيوم منفردة في السُنة، كما في الحديث الذي رواه البخاري كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة من الليل يقول: "اللهم لك الحمدُ أنت نور السَّماوات والأرض ومَن فيهنَّ"

وفي رواية، "الحمدُ أنتَ قيَّامُ السَّمواتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ"
وفي رواية أُخرى "أنتَ قَيّمُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ ومَن فِيهِنَّ"
وكلها صيغ مُبالغة من القيام .

□القيومية صفة لله -عز وجل- لها معنيان :

□ المعنى الأولى:
القائم بذاته، ومعناه أن الله -عز وجل- قائم لا يزول أبداً، وكما أنه قائم بذاته فهو غني عن خلقه.

□ المعنى الثاني:
المُقيم لغيره، ومعناه أنه المُقيم لغيره بتدبيره وتصريفه وإنعامه على غيره من مخلوقاته سبحانه وتعالى؛ فالعبد إن لم يعبد الله اختيارا، يعبده اضطراراً.

قال الله -عزَّ وجل-
{إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا} {لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا} [سُورَةُ مَرۡيَمَ: ٩٣-٩٤]

□يندرج تحت هذا عدة معاني:-

✓أن الله -عز وجل- قائم بالإحسان والمراقبة والمشاهدة والمُحاسبة، كما قال تعالى:
{أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ} [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ٣٣]

✓أن الله -عز وجل قائم على العباد بتدبير أمورهم وقوتهم، كما قال سبحانه:
{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ} [سُورَةُ هُودٍ: ٦]

✓الله -عزَّ وجل- قائم عليهم بتيسير الطاعة لعباده الصالحين، فالله -عزَّ وجل- جعل هذا مُقيماً للصلاة، وجعل هؤلاء أئمة يدعون بأمره، فهم جميعاً قائمون بفعل الله بهم.

فالله -عزَّ وجل- هو الذي يَسَّرَ الطاعة على عبده، وإنه لَيَسير على من يَسره الله، قال تعالى:
{ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ }
[سُورَةُ اللَّيۡلِ: ٧]

✓الله -عزّ وجل- قائمٌ عليهم بقهرِهِ وعزته، وقائمٌ عليهم بما كسبوا من خير أو شر فهو يعز من يشاء ويذل من يشاء، يوصل جزاء الإحسان لمن أحسن، وعُقوبة الإساءة لمن أساء في الدنيا والآخرة، وعُقوبة الإساءة لمن لم يتأدب مع ربه.

- صفة العلم

العلم من الصفات الذاتية. أثبت الله -عزَّ وجل- لنفسه صفة العلم وكذلك أثبته رسوله ﷺ.

فقد جاء اسم العليم في مواضع كثيرة في كتاب الله -عزَّ وجل- وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات. الله -عزَّ وجل- يعلم ما كان في الماضي وما سيكون في المستقبل وما لم يكن لو كان كيف يكون؛ أي أن الله يعلم الشيء الذي لم يحدث إذا حدث كيف كان سيحدث.

والله يعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم و آجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وسكناتهم أين تقع، ومتى تقع، وكيف تقع، كل هذا يعلمه الله -عزَّ وجل- كل هذا يعلمه، وبمرئى وبمسمع منه سبحانه، لا تخفى عليه خافية.

قال تعالى:
{وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ}
[سُورَةُ يُونُسَ: ٦١]

إن مُدارسة صفات الله -عزَّ وجل- تُثمر في قلبك مُراقبة الله -عزَّ وجل- وتُثمر في قلبك محبته سبحانه وتعالى، وتُوطِن النفس على الإيمان بالله، والافتقار إليه، والاقبال عليه -عز وجل-.

قال تعالى:

{وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٣٥]

قال الله -عز وجل-
{إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ}
[سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ٥]

قال الله تعالى:
{أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ وَيَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ}
[سُورَةُ النُّورِ: ٦٤]

قال الله تعالى:
{ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ} [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ٨]

قال الله -عزَّ وجل-:
{لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا}
[سُورَةُ الطَّلَاقِ: ١٢]

وجاء في الصحيحين من حديث جابر -رضي الله عنه- قال كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يُعلِّمُنا الاستخارةَ كما يُعلِّمُنا السُّورةَ مِن القُرآنِ يقولُ : "إذا هَمَّ أحَدُكم بالأمرِ فلْيركَعْ ركعتَيْنِ من غيرِ الفريضةِ ثمَّ لْيقُلِ: اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعِلْمِكَ وأستقدِرُكَ بقدرتِكَ وأسأَلُكَ مِن فضلِكَ العظيمِ فإنَّكَ تقدِرُ ولا أقدِرُ وتعلَمُ ولا أعلَمُ وأنتَ علَّامُ الغُيوبِ

اللَّهمَّ فإنْ كُنْتَ تعلَمُ هذا الأمرَ -يُسمِّيه بعَينِه- خيرًا لي في دِيني ومَعاشي وعاقبةِ أمري فقدِّرْه لي ويسِّرْه لي وبارِكْ فيه وإنْ كان شرًّا لي في دِيني ومَعادي ومَعاشي وعاقبةِ أمري فاصرِفْه عنِّي واصرِفْني عنه وقدِّرْ لي الخيرَ حيثُ كان ورضِّني به"

كذلك في قصة موسى والخَضر أن موسى قام النبيُّ خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: أنَّ عبدًا من عبادي بمَجْمَع البحرين، هو أعلم منك.

قالَ له الخَضِرُ: يا مُوسَى، إنَّكَ علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أعْلَمُهُ، وأَنَا علَى عِلْمٍ مِن عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لا تَعْلَمُهُ، قالَ: بَلْ أتَّبِعُكَ، قالَ: فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فلا تَسْأَلْنِي عن شيءٍ حتَّى أُحْدِثَ لكَ منه ذِكْرًا، فَانْطَلَقَا حتى رَكِبَا في السَّفِينَةِ، قالَ: ووَقَعَ عُصْفُورٌ علَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَغَمَسَ مِنْقَارَهُ في البَحْرِ، فَقالَ الخَضِرُ لِمُوسَى: ما عِلْمُكَ وعِلْمِي وعِلْمُ الخَلَائِقِ في عِلْمِ اللَّهِ إلَّا مِقْدَارُ ما غَمَسَ هذا العُصْفُورُ مِنْقَارَهُ.

فعتب الله عليه أنه لم يَرد العلم إلى الله، بمعنى أنه يقول الله أعلم، فالإنسان عندما يُسأل عن شيء يقول الله أعلم، فأراد الله -عز وجل- أن يُربي سيدنا موسى على أنه قد يكون في الناس بقايا وفي الزوايا خفايا.

أنت قد لا ترى بعض أهل العلم أو قد لا تعلم عنهم، ولكن لهم عند الله -عزَّ وجل- حال عظيم وهكذا كان حال السلف.

قال الله -عزَّ وجل-

{وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا}
[سُورَةُ الإِسْرَاءِ: ٨٥]

وانصحكم بقراءة تفسير سورة الكهف للشيخ السِعدي، فقد ذكر الشيخ السِعدي فوائد كثيرة، وعرض قصة موسى والخَضر بأسلوب رائع.

عندما سُئل سيدنا موسى أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، كان على أساس إنه رسول، وبلا شك فإن سيدنا موسى أفضل من الخضر، فهو رسول ونبي من الله -عزَّ وجل-.

فأراد الله -عزَّ وجل- أن يعلمه أن هناك من هو أعلم منه؛ فالعبد مهما كان من الصلاح، يجب ألا يغتر أبداً بعلمه، ولكن سيدنا موسى -عليه السلام- لم يحدث منه هذا، هو فقط رأي أنه رسول من عند الله.

وقال النبي ﷺ "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولا فخر" وهذا مِن بابِ ذِكرِ كَرامةِ النَّبيِّ ﷺ على ربِّه بلا فَخْرٍ منه ولا تَكبُّرٍ، بلْ هو في أعْلى دَرَجاتِ التَّواضُعِ، وهذا كان مقصد سيدنا موسى -عليه السلام-

والدليل على تواضع سيدنا موسى قوله تعالى: {قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا}
[سُورَةُ الكَهۡفِ: ٦٦]
فذهب الفاضل إلى المفضول وهو مُتجرداً تماماً، وهذا قمة التواضع.

إن علم الله -عزَّ وجل- عظيم، يَمُنُّ به على من يشاء من عباده، وعلم الله شامل لكل صغير وكبير في هذا الكون الذي نشهد بعضه، ويخفى علينا كثير منه، ويشمل أيضاً الغيب، قال الله تعالى:
{عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا} {إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا}
[سُورَةُ الجِنِّ: ٢٦-٢٧]

الغيب يشمل المستقبل والماضي، الله -عزَّ وجل- يعلم الماضي ويعلم المستقبل، فعلم الله -عزَّ وجل- أحاط بالأزل والأبد، والملائكة لا تعلم الغيب كما أخبرنا عنهم الله -عزَّ وجل-
{قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٣٢]

كذلك الرُسُل لا تعلم الغيب كما أخبر عنهم الله تعالى على لسان رسوله ﷺ {وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ}
[سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ١٨٨]

وقوله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم {وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ} [سُورَةُ الأَحۡقَافِ: ٩] فالرسول ﷺ لا يعلم الغيب.

أيضاً من الشواهد على أن الله -عز وجل- وحده هو من يعلم الغيب حادثة بئر معونة، فاجعة بِئْرِ مَعُونَة، التي تُعَد من أشد

الفواجع التي مرت بالمسلمين، فقد استُشهِدَ فيها سبعون صحابيًّا من قراء القرآن الكريم، حيث قُتِلوا غدراً وخيانة.

حيث قَدِمَ أبو براء عامر بن مالك بن جعفر على رسول ﷺ المدينة، فعرض عليه رسول ﷺ الإسلام ودعاه إليه، فلم يُسلم، وقال: يا محمد! لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله ﷺ: (إني أخشى عليهم أهل نجد) قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ سبعين من خيار المسلمين، وكانوا يُعرفون بالقُراء، فقتلوهم.

- فلو كان الرسول ﷺ يعلم الغيب لَرفضَ طلب هذا الكافر ومنع الصحابة من الذهاب.

كذلك من الشواهد على اقتصار علم الغيب لله وحده، حادثة الإفك التي افتعلها المنافقون في عهد النبي ﷺ، حيث اتهم المنافقون كلاً من السيدة عائشة بنت أبي بكر والصحابي صفوان بن المعطل بارتكاب فاحشة الزنا.

- ولو كان النبي ﷺ يعلم الغيب لدفع عن نفسه هذا الافتراء، ولكن الله يختص بعلمه من يشاء.

فالأشياء التي لم يُقدر الله -عزَّ وجل- وقوعها لو قدر أن تقع لعلم صورتها، فالذي لم يَحدث لو حدث لَعلِمَ الله -عزَّ وجل- كيف كان سيحدث.

□ وسواءًا كانت من الممكنات أو من المُستحيلات، فإن الله-عزَّ وجل- يعلمه، فقال من الممكن على تقدير وقوعه.
قال الله تعالى:
{ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ}
{وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ}
[سُورَةُ الأَنْعَامِ: ٨- ٩]

﴿وَقَالُوا﴾ تعنتا مبنيا على الجهل، وعدم العلم بالمعقول، ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ أي هلا أُنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على ما هو عليه بزعمهم أنه بشر، (وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا) فالله يعلم أن الحكمة لا تقتضي سوى ذلك. ثم أخبرنا الله -عز وجل- (لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ) أي ولكان الأمر، مختلط عليهم وملبوساً.

□ الله -عز وجل- يعلم ما كان في الماضي وما سيكون في المستقبل وما لم يكن لو كان كيف يكون. انظر إلى موقف المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، قال الله تعالى فيهم:
{لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ}
[سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٤٧]

ذكر الحكمة في ذلك فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي نقصاً،

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي وسعوا في الفتنة والشر بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ أي هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم، ﴿وَفِيكُمْ﴾ أناس ضعفاء العقول ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي مستجيبين لدعوتهم يغترون بهم، فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين!

فللّه أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفاً من أن يدخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم.

 وفي المستحيلات، قال تعالى:
{لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ}
[سُورَةُ الأَنبِيَاءِ: ٢٢]

هذا مستحيل! أن يكون هناك إلهين فَيتنازع كل إله مع الآخر، فلو كان معه آلهة كما يقولون لانفرد كل واحد من الإلهين بمخلوقاته، واستقل بها، وحرص على ممانعة الآخر ومغالبته، مما يؤدي إلى فساد من في السماوات والأرض.

{مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَـٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍۚ سُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} {عَـٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ}
[سُورَةُ المُؤۡمِنُونَ: ٩١-٩٢]

نبه الله سبحانه على عظمة صفاته، وعلمه المُحيط، فقال:
﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أي الذي غاب عن أبصارنا وعلمنا، من
الواجبات والمستحيلات والممكنات، ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ وهو ما
نشاهد من ذلك. ﴿فَتَعَالَى﴾ أي ارتفع وعظم، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
به، من لا علم عنده، إلا ما علمه الله.

- العرب المشركون كانت تصف علم الله بالنقص، كما جاء في
حديث البخاري عن عبد الله ابن مسعود -رضي الله عنه- عن
رسول الله ﷺ "وقف رجلان سمينان أمام الكعبة، فسأل أحدٌ
منهما الآخر: ترى أن الله يعلم سرنا؟ فقال: لا، يعلم ما نجهر
به، أما ما نسر به فلا يعلمه"

فكان العرب المشركون تتهم علم الله بالنقص، فكانت هذه
عقيدة المشركين أن الله يعلم ما ظهر ولا يعلم ما بطن لذلك
كانت العرب المشركون تستتر بالمعاصي ظناً منهم أن الله لا
يعلمها لذلك قال الله -عزَّ وجل-:
{وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا
جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ}
[سُورَةُ فُصِّلَتۡ: ٢٢]

أي وما كنتم تَختفون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا
تُحاذرون من ذلك، ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ بإقدامكم على المعاصي ﴿أَنَّ
اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلذلك صدر منكم ما صدر،
وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم.

الله عزّ وجل يتصف بالعلم المطلق فهذه العقيدة هي ركيزة للقضاء والقدر، أن العبد يعلم ويَتيقن أن الله -عزَّ وجل- يعلم عنه كل شيء، ما يسر الإنسان وما يعلن.

فعن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال رسول الله ﷺ "أولُ ما خلق اللهُ القلمُ فقال له: اكتبْ فقال: يا ربِّ وما أكتبُ؟ قال: اكتب القدرَ ما هو كائنٌ من ذلك إلى قيامِ الساعةِ".

وفي صحيح مسلم، قال رسول الله ﷺ
"كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قالَ: وَعَرْشُهُ علَى المَاءِ".

فكان العرب المشركون يثبتون صفة العلم لله بالنقص، يقولون أن الله يعلم ما نَجهر به ولا يعلم ما نُسر، والله -عز وجل- {يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى}
[سُورَةُ طه: ٧]

وقال تعالى:
{يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ} [سُورَةُ غَافِرٍ: ١٩]

□ اليهود لعنهم الله أيضاً يُشبهون الله -عزّ وجل- بخلقه، ويقولون إن الله لا يعلم نتيجة الشيء، فَيخلُق ويُجرب ويستفيد عِلماً جديداً وهذا باطل -أستغفر الله-

ففي التوراة المُحرفة يقولون إن الله لما رأى الفساد والشر في الأرض استشرى بالناس، بكى حتى ابيضت عيناه، وقال لماذا خلقت الإنسان؟

(لما رأى) بمعنى أنه سبحانه لم يكن يعلم -استغفر الله العظيم-
(فَسُبۡحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ)

□ هل الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها؟

بعض الناس يختلط عليه الأمر عندما يقرأ قول الله تعالى:
{وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ}
[سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٣١]
□ والمقصود، أن نختبر إيمانكم وصبركم، فمن امتثل أمر الله وجاهد في سبيل الله لنصر دينه وإعلاء كلمته فهو المؤمن حقاً، ومن تكاسل عن ذلك، كان ذلك نقصاً في إيمانه.

وكذلك قوله -عزَّ وجل-:
{وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَـٰفِقِينَ} [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ١١]
أي فلذلك قَدَّرَ الله مِحَنًا وابتلاء، ليُظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه، لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتُلوا لَثَبَتُوا.

فبعض الناس يتساءلون: هل الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها؟

والإجابة:
أن هؤلاء الناس يُعرضون عن الآيات المُحكمة الصريحة كقوله تعالى:

{إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمُۢ}
[سُورَةُ الأَنفَالِ: ٧٥]
الله -عزَّ وجل- يعلم كل شيء قبل أن يحدث، ولكن العلم الذي يترتب عليه الجزاء عندما يعملوا كما وضحت في شرح معنى الآيات.

الله -عزَّ وجل- كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ لكن الله يُبرز إلى الوجود ما سبق في علم الله حتى يستحق الناس على ذلك الثواب والعقاب.

وهذا أسلوب من أساليب اللغة؛ فقد تكون مُصَدِقاً بشيء وأقول ستراه حتى يكون عندك اليقين، فلذلك قَدَّرَ الله مِحَنًا وابتلاء، ليُظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه، حتى لا يحتجون على الله، أنهم لو ابتُلُوا لَثَبَتُوا.

كذلك في عُرف البشر، هل نستطيع عقاب شخصاً مثلاً على ذنب لم يقع منه إلا أن يفعله ونراه بأعيننا حتى وإن كنا متأكدين أنه قد يفعل هذا الذنب؟! لا نستطيع أن نُحاسب شخص على ما لا يقع منه إلا إذا وقع بالفعل -وإن كنا متأكدين من وقوعه- فقد لا يحدث منه ذلك، ولله المثل الأعلى.

كذاك لا يجوز أن نأخذ الحُكم العام من آية معينة ونضرب كتاب الله بعضه ببعض، ولكن نجمع الآيات والأحاديث في الموضوع الواحد ثم نستخرج منها الحُكم؛ وهذه هي طريقة السلف يردون المُتشابه إلى المُحكم فَيتسق الكتاب كله.

هذا ما تيسر ذكره في صفة العلم، والحديث يحتاج إلى تفصيل أكثر، تستطيع الرجوع إلى شرح اسم الله العليم في قناة أسماء الله الحُسنى.

(الدرس التاسع)

(بعض الصفات والأفعال)

♦في هذا الدرس سوف أتحدث عن:

- أمثلة على صفات الأفعال.
- صفة المشيئة والإرادة لله -عز وجل-
- أنواع الإرادة الربانية.
- الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية.
- هل الانسان مسير ام مخير؟
- قضية الاحتجاج بالقدر.
- محبة الله -عز وجل- ومودتهِ لأوليائهِ على ما يليق بجلالهِ.

- صفات الرحمة والمغفرة والعفو.
- رضى الله -عز وجل- وغضبهِ عمن يشاء.
- ذِكر مجئ الله -عز وجل- لِفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله.

♦ أمثلة عن صفات الأفعال:

ذكرت وأوضحت في الدروس الماضية أن صفات الأفعال تتعلق بالقدرة والمشيئة، فإن شاء فعل وإن شاء لم يفعل؛ على عكس صفات الذات التي لا تتعلق بالقدرة والمشيئة، كصِفة الحياة لا تتعلق بالقدرة والمشيئة، فهذه صفات ذات الله -عز وجل-، ومن صفات الأفعال:

١) (المشيئة والإرادة لله -عز وجل-:

قال تعالى، {وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ} [سُورَةُ الكَهۡفِ: ٣٩] وقوله تعالى، {وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٣] وقوله تعالى، {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ} [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٢٥]

هذه الآيات تُثبت المَشيئة والقوة والحكمة على وجهٍ يليقُ بجلال الله -سبحانه وتعالى- وكذلك إثبات الإرادة لله -عز وجل- وهي شاملة الهداية والإضلال، فمن يُريد الله يهديه ومن يُريد يُضله، فالإرادة تتعلق بالقدرة والمشيئة.

أنواع الإرادة الربانية:

إرادة كونية قدرية:

وهذه مُرادفة لِلمشيئة، ومن أَمثلَتِها:
قول الله -عز وجل- {وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا} [سُورَةُ الإِسۡرَاءِ: ١٦] وقوله تعالى، {وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ} [سُورَةُ الرَّعۡدِ: ١١] قوله تعالى، {فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ} [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٢٥]

فهي إذاً تتعلق بكل ما يشاء الله تعالى فعله وإحداثه، سواء إن كان المفعول منه سبحانه وتعالى محبوباً أو غير محبوب، يرضيه أم لا يرضيه.

إرادة شرعية دينية:

تدل على أنه سبحانه لا يُحب الذنوب والمعاصي والضلال والكفر، ولا يأمر بها ولا يرضاها، ولكنه -عز وجل- يُريد

الخير والاجتهاد في طاعة، كما قال الله -عز وجل- {وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٢٧]

وقوله تعالى، {مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ} [سُورَةُ المَائـِدَةِ: ٦]

وهنا يريد الله -عز وجل- أن لا يجعل عليهم من حرج ويُريد أن يُطهر العباد بإمتثال أوامره واجتناب نواهيه.

□الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية:

✓الإرادة الكونية عامة، فيما يحبه الله -عز وجل- ويَرضاه، وقد تكون فيما لا يُحبه ولا يرضاها، فالله أراد المعصية كوناً ولم يُريدها شرعاً.

✓الإرادة الشرعية تختص فيما يُحبه الله -عز وجل- ويَرضاه فقط، فهي فيما يُحب الله -عز وجل- من الطاعة والخير والإيمان والعمل الصالح.

وسوف نتناول الفرق بشكل أوسع بإذن الله من خلال الحديث عن قضية، هل الإنسان مُسير أم مُخير؛ كذلك من خلال الحديث عمن يحتج بالقدر في غير موضعه.

الله -عز وجل- أراد المعصية كوناً، ولكن هناك من يقول: لا بل أنا فعلتُ المعصية باختياري وأنا حرٌ في ذلك؛ نعم أنت مُخير لأنك اخترت المعصية وأنت تعلم أنها باطل؛ ولكنك مُسير لأن إرادتك هذه لم تخرج عن إرادة الله-عز وجل-
وهذا ما يُفرق أهل السُنة والجماعة عن الجبرية والقدرية.

الجَبرية أثبتوا لله الإرادة الكونية فقط، قالوا (إن الإنسان مُجبر، ألقاه في اليم مكتوف الأيدي، ثم قال له إياك إياك أن تبتل بالماء) قالوا إن الإنسان مُجبر على كل أفعاله، ونفوا كل اختيار العبد وهذا باطل، لأن الإنسان عندما يفعل المعصية يعلم أنه مُخطئ وعلى باطل، وأنه بإرادتهِ اختار المعصية.

أما القدرية نفوا القدر، وأثبتوا الإرادة الشرعية فقط، وقالوا لا قدر، بل إن الإنسان هو الذي يفعل ويختار، وأن الأحداث والأفعال تقع بمشيئة البشر لا مشيئة الله، وهذا أيضاً باطل، لأن الإنسان حتى إن سرق وفعل المعصية، هل الله عز وجل ليس له ارادة عليه؟!

أهل السنة والجماعة توسطوا، فَأثبتوا للعبد إرادة ومشيئة، وللخَالِق وإرادة ومشيئة، فإذا فعل العبد المعصية، فهو بذلك اختارها وأرادها، ولكن إرادته هذه لم تخرج عن إرادة الله ولم تخرج عن مشيئة الله -عز وجل-.

□ هل الانسان مسير ام مخير؟

الإنسان مُسير ومُخير، فقد جعل الله تبارك وتعالى للعبد اختيارا ومشيئة وإرادة بها يختار طريق الخير أو الشر، وبها يفعل ما يريد، وعلى أساسها يُحاسب على أفعاله التي اختارها لنفسه، هو مُخير لأنه يعلم أن هذا باطل وهذا صواب ومع ذلك اختار الباطل وترك الصواب بإرادته.

كذلك مُسير لأنه سواءاً اختار الباطل أو الحق والطاعة، فإن إرادته هذه لم تَخرُج عن إرادة الله -عز وجل- فالإنسان مُيسر لما خُلق له.

لكن نقول إن الإنسان إذا فعل معصية، فقد وافقت إرادة العبد ارادة الله الكونية، ولكن الله -عز وجل- لم يرد المعصية شرعاً، وأما إذا فعل العبد الطاعة واستقام على أمر الله -عز وجل- فقد وافقت إرادة العبد ارادة الله الكونية والشرعية.

✅الإرادة الكونية مقصودة لغيرها، كخلق إبليس وسائر الشرور، لِيبتلي الله -عز وجل- المؤمنين ويعلم من سَيثْبُت على الطاعة ومن ينجرف وراء وساوس الشيطان اللعين.

كذلك هناك حكمة في خلق إبليس وسائر الشرور، لِيَحدُث بسبب ذلك مُجاهدة العبد والتوبة والاستغفار وغير ذلك من المَحاب، وقد ذكر ابن القيم فوائد كثيرة في خلق إبليس في كتاب "مدارج السالكين" فلا تجعل عقلك يأخذك إلى التفكير فيما لا يُحمد عُقباه.

✅الإرادة الشرعية مقصودة لذاتها، فالله -عز وجل- أراد بالطاعة ذات الطاعة، أحب الخير والطاعة ورضيها كوناً وشرعاً.

فإن كان أهل الباطل والشر كثيرون، وأهل الحق قليلون، كما قال تعالى، {إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ} [سُورَةُ صٓ: ٢٤] وكذلك قال تعالى، {وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ}
[سورة سبأ: ١٣]

وهذا لحكمة عند الله -عز وجل- ومنها أن الله -عز وجل- أراد أن يبتلي عباده المؤمنين ليعلم الصادق من الكاذب، ومن الذي سَيسلك طريق الإيمان والاستقامة على أمر الله -عز وجل- ومن الذي ينجرف وراء الشيطان وأهل الباطل، لإن الجنة سهلة ولكنها غالية.

إذاً ما لا يحبه الله -عز وجل- هو مقصود لغيره وليس مقصود لذاته، فَالطاعة مثلاً يُحبها الله -عز وجل- ويَرضاها شرعاً وكوناً، أما خلق إبليس فهو مقصود لغيره حتى يبتلي الله -عز وجل- به المؤمنين ويَختبرهم.

✅لابد من وقوع الإرادة الكونية فما أراد الله -عز وجل- كونه لابد أن يقع؛ أما الإرادة الشرعية لا يلزم وقوعها قد تقع وقد لا تقع.

فرض الله -عز وجل- على المسلمين الصوم والحج والزكاة، فمنهم من يصوم ومنهم من يحج ومنهم من لا يصوم ومنهم

من يبخل بمالهِ وهكذا، فالإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع، وقد تقع من البعض ولا تقع من البعض الآخر.

فإذا قدر الله -عز وجل- الموت على إنسان في حادث أو ما شابه، فهذا لابد من وقوعه وهذه هي الإرادة الكونية .

✓تجتمع الإرَادتان الكونية والشرعية في حق المخلوق المُطيع، فالمؤمن الذي صلى وصام اجتمعت فيه الإرادة الشرعية بأن الله شرع له الصوم واجتمعت فيه الإرادة الكونية؛ لأنه ما فعل هذا إلا بمشيئة الله، ولولا أن الله شاء ذلك ما فعله، ولا استطاع ذلك.

✓تنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، الذي عصى الله -عز وجل- وبهذا وافقت إرادة هذا العبد إرادة الله الكونية، لكن لم تتوافق مع إرادة الله الشرعية، لأن الله شرعاً لا يريد المعصية.

□قضية الاحتجاج بالقدر:

قد يتعلل بعض المُذنبين المُقصرين على تقصيرهم وخطأهم بأن الله هو الذي قَدَّر هذا عليهم؛ وعليه فلا ينبغي أن يُلاموا على ذلك.

وهذا لا يصح منهم، تخيل إذا قام بسرقتِكَ شخصٌ ما ثم جاء وقال لك: أنا سرقت بقَدرِ الله، فهل سوف تقبل من ذلك

الشخص هذا العُذر؟! لن تقبل هذا العُذر في حق نفسك، فما بالك إذا كان في حق الله -عز وجل-!

لذلك لما جِيءَ إلى سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله- عنه بسارقٍ، فقام ليقطع يَدَه، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما سَرَقْتُ بقَدَر الله، فقال له: ونحن نقطع يَدَكَ بقَدَر الله.

بل إن بعض اللصوص يقولون قبل السَرِقة: استعنا على الشقى بالله - استغفر الله العظيم- وهذا استهزاء، فكيف يستعين بالله -عز وجل- وهو يعلم أن هذا باطل وقد اختاره لنفسه.

فلا يجوز أن يحتج الإنسان بالقدر في الآثام والمعاصي، لكن يُحتج بالقدر في المصائب، فإذا وقع لك حادث، أو مَرِضَ لك حبيب، أو فقدت عزيز، فتقول الحمد لله هذا بقدر الله، لكن لا تقول فعلت هذه المعصية بقدر الله، أو أني لم أُصلي بقدر الله.

سبحان الله! أنت تعلم أن الصلاة واجبة، وأن تركها ذنبٌ عظيم، فإذا تركت الصلاة، فأنت تعلم أنك مُذنب، العبد له اختيار وله إرادة، ولكنَّ إرادته لا تخرج عن إرادة الله -عز وجل- فالعبد ليس مُنسلخ عن ربه، وليس مُجبراً على أمر، بل له إرادة وله اختيار لا يخرج عن إرادة الله -عز وجل-.

♦الخلاصة:

بهذا توسط أهل السُنة والجماعة، فلم يُثبتوا أن الإنسان مُجبراً كما قالت الجَبرية، ولم يَنفوا القدر ويقولوا أن كل شئ باختيار العبد كما قالت القدرية، بل قالوا أن الإنسان له اختيار وله إرادة، ولكنَّ إرادته لا تخرج عن إرادة الله -عز وجل-

إذا اختار العبدُ الطاعة، وافقت إرادته إرادة الله الكونية والشرعية، لأن الله -عز وجل- أراد الخير والطاعة شرعاً وكوناً، ولو اختار العبدُ المعصية لم تتوافق إرادته مع إرادة الله الشرعية، ولكنها توافقت مع ارادة الله الكونية .

إذا وافقت إرادة العبد إرادة الله الشرعية أخذ الأجر، وإن لم تُؤدي الارادة الكونية إلى وقوعها، مثلاً إذا نوى العبد الخروج للصلاة، أو لأداء العمرة أو الحج، فهنا إرادة العبد لفعل الطاعة توافقت مع إرادة الله الشرعية، فإذا قَدَرَ الله عليه الموت في الطريق فهذه إرادة كونية، وهنا يأخذ العبد الأجر.

إذا لم توافق إرادة العبد إرادة الله الشرعية، وقَدَرَ الله -عز وجل- حدوث الإرادة الكونية، فحينئذ يكون على العبد الوزر، مثلاً إذا أراد الإنسان السرقة، هنا لم توافق إرادة الإنسان إرادة الله الشرعية لأن السرقة معصية، ووقعت إرادة الله الكونية فمات وهو في الطريق، فحال ذلك إلى وقوع السرقة، فهو عليه وزر وإثم لأنه نوى وسعى واختار.

(٢) محبة الله -عز وجل- ومودتهِ لأوليائهِ على ما يليق بجلالهِ:

المحبة من الصفات الفعلية الثابتة لله -عز وجل- والدليل عليه قول الله -عز وجل- {وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١٩٥] وكذلك قوله تعالى، {وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ}
[سُورَةُ الحُجُرَاتِ: ٩] وقوله تعالى، {فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ} [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٧] وقوله -عز وجل- {إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٢٢] وقوله -عز وجل- {قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ٣١]

الله -عز وجل- يُحب المؤمنين ويتودد لأوليائه رغم أنه سبحانه أغنى الأغنياء عنهم، بل وتدبر قوله تعالى {وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ} [سُورَةُ البُرُوجِ: ١٤] فهو سبحانه وتعالى لم يكتفي بغفر الذنوب بل يتودد إلى عباده حين يريدون التوبة والاستقامة، فَيشرح الصدر لِلطاعة.

الله -عز وجل- يُحب المحسنين ويُحب المقسطين والمُتقين والمُتَبِعين لرسوله ﷺ، ويُحب المجاهدين في سبيله، والتوابين والمُتطهرين، وفي هذا إثبات المحبة من الجانبين، جانب العبد وجانب الرب، يُحبهم ويحبونه، ومن قمة التودد أنه سبحانه وتعالى قَدَمَ مَحبتهُ لهم على محبتهم له.

تدبر قوله تعالى، {قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ} [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ: ٣١] ففي ذلك رد على من نفى المحبة من الجانبينِ، فقد نفى أهل الجَهمية والمُعتزلة فقالوا لا يُحِب ولا يُحَب، ولا حول ولا قوة الا بالله، فالله -عز وجل- يُحب عباده، وعباده المُتقين

يحبونه سبحانه، ولكن محبة الله ومودتهِ -عز وجل- ليست كمحبة المخلوق.

كذلك إثبات المحبة لله فيها رد على من ساوى بين المشيئة والمحبة، لأن هناك من أثبت المشيئة لما يُحبه الله -عز وجل- وقال أنهما متلازمتان، أي ما شاء الله فقد أَحبه، وهذا كلام باطل، فقد قد يشاء الله ما لا يُحبه كَكُفر الكافر مثلاً؛ فالله -عز وجل- شاء خلق إبليس والمعاصي ولا يُحب هذا، فالله عز وجل قد يشاء ما لا يُحبه، وقد يشاء ما يُحبه كالإيمان وسائر الطاعات.

صفات الرحمة والمغفرة والعفو:

إن الرحمة والمغفرة والعفو من الصفات الفعلية، فهل في قوله تعالى، {يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ} [سُورَةُ العَنكَبُوتِ: ٢١] عدم كمال؟

الكمال كله في أن الله -عز وجل- يَرحم من يشاء ويُعذب من يشاء، فهناك من نفى صفة الرحمة عن الله، وقال إن الرحمة تلتزم الضعف، بل إن الكمال كله في ذلك، فهو-عز وجل- الحاكم المُتصرف الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فله الخلق والأمر لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة.

وإذا نُفيت هذه الصفات وتلك الصفات لله -عز وجل- فماذا سوف نُثبت له سبحانه وتعالى؟ لكن الكمال كل الكمال أنه سبحانه يَرحم دون عذاب، ويُعذاب بدون رحمة، قال تعالى،

{رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا} [سُورَةُ غَافِرٍ: ٧]، وقال -عز وجل- {وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا} [سُورَةُ الأَحۡزَابِ: ٤٣] وقال -عز وجل- {وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ١٥٦] وقال تعالى، {كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ}
[سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٢] وقال كذلك، {وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ}
[سُورَةُ يُونُسَ: ١٠٧] وقوله تعالى، {وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ}
[سُورَةُ النُّورِ: ٢٢] وقوله تعالى، {إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٤٩]

الشاهد من هذه الآيات أن الله -عز وجل- وصف نفسه بالرحمة والمغفرة والعفو على ما يليق بجلاله، فرحمة الله -عز وجل- ليست كَرحمة المخلوق، المخلوق قد يرحم القريب دون البعيد، وقد يدمع المخلوق ويَتَفَطَّر قلبه على مخلوق مثله.سبحان الله!

لكن الله -عز وجل- رحمته {وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ} القريب والبعيد، ولا يتأثر سبحانه بالعباد كما يحدث لنا من لهفة وبكاء، الله -عز وجل- يرحم ويغفر من عِزة ويعفو من قُدرة، الله -عز وجل- قادر ألا يغفر ويعفو ولكنه يعفو ويرحم {وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ} .

هذا كان رداً على الجَهمية والمعتزلة ممن نفوا عن الله اتصافه بالرحمة والمغفرة، فِراراً من التشبيه، قالوا (إن المخلوق يُوصف بالرحمة، اعتقاداً أن الرحمة تستلزم انفطار

القلب، تستلزم البُكاء) إن كانت هذه هي رحمة المخلوق، فمن قال لك إن رحمة المخلوق كَرحمةِ الخالق؟!

رحمة الخالق رحمة تليق بجلالهِ وكمالهِ -سبحانه وتعالى- {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١] وصف الله عز وجل نفسه أنه حليم وأنه عليم، ووَصَفَ الله -عز وجل- سيدنا إسماعيل أنه حليم، قال تعالى، {فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ}[سُورَةُ الصَّافَّاتِ: ١٠١] ووَصَفَ سيدنا إسحاق أنه عليم، قال تعالى، {إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ} [سُورَةُ الحِجۡرِ: ٥٣] فهل حِلم الله كَحِلم سيدنا إسماعيل، وهل عِلم الله -عز وجل- كَعِلم سيدنا إسحاق؟

إن حِلم الله وعِلمه -عز وجل- يليق بجلالِ وجههِ وعظيم سلطانه؛ وحِلم سيدنا إسماعيل وعِلم سيدنا إسحاق يليق بهم كَبشر، لكنَّ هؤلاء من الجَهمية والمعتزلة قاسوا رحمة الخالق على رحمة المخلوق فوجدوها لا تليق فنفوها، وهذا أبطل الباطل.

أما أهل السُنة والجماعة أثبتوا ما أثبته الكتاب والسُنة؛ أنه سبحانه وتعالى يُوصف بالرحمة مع نفي الضعف والعجز والخور عنه -عز وجل- ففي إثبات الرحمة لله -عز وجل- وتوجيهها في مواضعها، ونفي العجز، فإن هذا هو عينُ الكمال.

والأكمل أن نقول بأن الله سبحانه، {يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ} فهذا مما لا شك فيه كمالاً وليس نقصاً؛ ورحمته -سبحانه وتعالى- ليست كَرحمةِ المخلوق حتى يلزم التشبيه؛ والاتفاق في الاسم كما أوضحت في الدروس الماضية، لا

يقتضي الاتفاق في المُسمى، فَالخالق له صفات تليق به وتختص به، و للمخلوق صفات تليق وتختص به أيضاً.

(٣) رضى الله -عز وجل- وغضبهِ عمن يشاء.

الرضا والغضب من الصفات الفعلية لله -عز وجل- قال تعالى، {رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ} [سُورَةُ المَائـِدَةِ: ١١٩] وقال -عز وجل- {وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٣] وقوله تعالى، {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ} [سُورَةُ مُحَمَّدٍ: ٢٨] وقوله تعالى، {وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ} [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٤٦] وقوله تعالى، {كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ}
[سُورَةُ الصَّفِّ: ٣]

الشاهد من هذه الآيات أن فيها وصف الله -عز وجل- بالغضب والرضا، وأن الله -عز وجل- يغضب عمن يشاء ويرضى عمن يشاء، كذلك اللعن والانتقام والكراهية والأسف والمقت، قال تعالى، {فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ}
[سُورَةُ الزُّخۡرُفِ: ٥٥]

هذه كلها من الصفات الفعلية التي يفعلها الله -عز وجل- متى شاء وإذا شاء وكيف شاء؛ وأهل السُنة والجماعة يثبتونها كلها لله على ما يليقُ بجلال وجههِ وعظيم سلطانه، سبحان الله!

الله -عز وجل- غضب على اليهود، قال تعالى، {ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ} [سُورَةُ الفَاتِحَةِ: ٧] كذلك قال -عز وجل- {وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ} [سُورَةُ الفَتۡحِ: ٦] فالله سبحانه يغضب ويلعن بما يليقُ بجلاله وكماله.

٤) (ذِكر مجئ الله -عز وجل- لِفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله.

ذِكر مجئ الله -عز وجل- للفَصل بين عباده من صفات الأفعال لله -عز وجل- قال تعالى، {هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ}
[سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٠] وقوله تعالى، { هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ} [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٥٨] وقوله تعالى، { كَلَّآۖ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا} {وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا}
[سُورَةُ الفَجۡرِ: ٢١-٢٢] وقوله تعالى، {وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا} [سُورَةُ الفُرۡقَانِ: ٢٥]

الشاهد من الآيات إثبات المجيء والإتيان لله -عز وجل- يوم القيامة بذاتهِ على ما يليق بجلاله وكماله؛ لِفصل القضاء بين عبادهِ، وإتيان الله -عز وجل- من الصفات الفعلية التي يجب إثباتها على حقيقتها ولا يجوز تأويلها، لأن بعض الأشاعرة قالوا: (وجاء أمرُ ربك) بدلاً من قوله تعالى، {وَجَآءَ رَبُّكَ} لِينفوا مجئ الله -عز وجل- وهذا من تحريف آيات الله.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- (الإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان، مطلق ومقيد)

□إتيان ومجئ المقيد:

إذا كان المراد مجيء رحمته وعذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في الحديث، "حتى جاء الله بالرحمة والخير"، وقوله تعالى، {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ} [سورة الأعراف: ١٥٧]

□إتيان ومجئ مُطلق:

والإتيان والمجيء المُطلق لا يكون إلا مجيئه سبحانه، كقوله تعالى، {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَاتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢١٠] وقوله تعالى، {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} [سُورَةُ الفَجْرِ: ٢٢]
وهكذا يكون إتيان الله -عز وجل- ومجيئه بما يليق بجلاله وكماله سبحانه.

في نهاية الدرس، لنقف مع أنفسنا وقفة، ونسأل أنفسنا ما الذي تعلمناه من الدرس، وكيف يُمكن أن نعمل به.

(الدرس العاشر)

سوف نستكمل في هذا الدرس الحديث عن بعض صفات الأفعال لله -عز وجل-، ومنها:

٥) إثبات صفات المكر والكيد لله سبحانه على الوجه اللائق به -عز وجل-

قال الله تعالى، {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} [الرعد:١٣]، وقوله، {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران:٥٤]، وقوله -عز وجل- {وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} [النمل:٥٠]، وقوله تعالى، {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا} {وَأَكِيدُ كَيْدًا} [سُورَةُ الطَّارِقِ: ١٥-١٦]

الشاهد من هذه الآيات أن الله -عز وجل- وصف نفسه بالمكرِ والكيدِ، وأن نسبة ذلك حقيقةً لله -عز وجل- ولكن لا ينبغي ولا يليق القول بأن الله -عز وجل- ماكراً أو كائداً، فلابد أن نعلم بأن هذه الصفات مُقيدة.

هذه الصفات يجب أن تأتي مُقيدة بهذا التقييد، فلابد أن نقول إن الله -عز وجل- خير الماكرين بمن مكر، ولا يصح القول بأن من أسماء الله أنه خير الماكرين، فهي صفة مدح بالتقييد، هم يمكرون فالله -عز وجل- يمكر بهم، هم يكيدون فالله -عز وجل- يكيد بهم.

فإنَّ المُكر إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، وكذلك الكيد والمخادعة، فسبحان الله!
والكيد نوعان:

□كيد قبيح: وهو إيصال ذلك لمن لا يستحقه، وهذا مذموم.

□كيد حسن: وهو إيصاله إلى من يستحقه عقوبةً له، وهذا النوع ممدوح.

والرب تعالى إنما يفعل من ذلك ما يُحمد عليه عدلاً منه وحكمة، الله تعالى يأخذ الظالم والفاجر من حيث لا يحتسب عقاباً له على ظلمه، حتى إذا أخذه لم يَفلته.

الله -عز وجل- لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء بمن فعل ذلك من غير حق، لذلك لابد أن يأتي الكيد والمكر مُقيدا كما أوضحت، فقد عُلم بأن المُجازاة حسنة من المخلوق، فكيف بالخالق؟

والمعنى، أنك إذا وجدت من يمكر بالناس ويكيد بهم، فسوف تكيد به حتى تُجازيه على فعلهِ وتوصل له هذه العقوبة، وهذا حَسن، سبحان الله! فكيف بالخالق؟ الله -عز وجل- يمكر بهذا الماكر جزاءاً بما فعله من غير حق.

فإن نسبة الكيد والمكر ونحوهما إليه سبحانه وتعالى من إطلاق الفعل عليه تعالى، والفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يَتسمى منها بأسماء الفاعل، مثل أراد وشاء، فلم يُسمي المُريد ولا الشائي ولا الماكر ولا الكائِد، لأن مُسميتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، فما كان فيه

ممدوح ومذموم، فليس فيه كما مُطلق فلا يسمى الله -عز وجل- به.

فلا نقول إن الله ماكر، بل نقول إن الله يمكر بالماكرين، وإن الله -عز وجل- يكيد لهؤلاء الظالمين، فالله -عز وجل- يكيد بهم جزاء كيدهم، وهذا ممدوح.

أما الخيانة فكلها سوء، لذا قال الله -عز وجل- {وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٧١] انظر وتدبر، لم يقل -عز وجل- وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فخانهم، بل قال -عز وجل- {فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۗ} لأن صفة الخيانة مذمومة حتى بمن خان.

قال رسول الله ﷺ "أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ" أي كُن أميناً حتى مع الخائن، لأن صفة الخيانة مذمومة. أما المكر، فالله -عز وجل- يمكر بمن مكر، قال تعالى، {وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ} [سُورَةُ الأَنفَالِ: ٣٠] وقال -عز وجل- {وَمَكَرُوا۟ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ} [سُورَةُ النَّمۡلِ: ٥٠]

♦الخلاصة:

إن صفة المكر يليق أن يوصف الله -عز وجل- بها نفسه، ولكنها تأتي مُقيدة، لأن الله سبحانه يمكر بمن مكر بعبادهِ

وأوليائهِ الصالحين جزاءاً بمكرهم، وهذا مكر حسن فيه إيصال العقوبة لمن يستحقها، ويُسمى إيصال الشيء إلى الغير بطريق خفي، فإذا كان لمن لا يستحق فهذا قبيح.

أما الخيانة فهي صفة مذمومة وكلها سُوء، لا يليق أن يوصف الله -عز وجل- بها نفسه، فَالخائن لا يُخَون.

كذلك لا يُوصَف الله -عز وجل- بهذه الأسماء، كالكِائد والماكر والشَائى، لأنها أسماء تنقسم إلى مذموم وممدوح، فليس فيها كمال مُطلق، ولكن الفعل أوسع، فإن الله يمكر بمن مكر بعباده الصالحين، حتى يكون الجزاء من جنس العمل.

(٦) إثبات مَعية الله -عز وجل- لخلقه:

من الصفات الفعلية لله -عز وجل- إثبات مَعية الله -عز وجل- لخلقه، قال تعالى، {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سُورَةُ الحَدِيدِ: ٤]

كذلك قال -عز وجل- {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}
[سُورَةُ المُجَادلَةِ: ٧]

وقوله تعالى، {لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ}
[سُورَةُ التَّوْبَةِ: ٤٠] وقوله تعالى، {قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ}
[سُورَةُ طه: ٤٦] وقوله تعالى، {إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}
[سُورَةُ النَّحْلِ: ١٢٨] وقوله تعالى، {وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}
[سُورَةُ الأنفَالِ: ٤٦]

هذه الآيات تدل على معية الله بعباده وأوليائه، فهو يُؤيدهم ويحفظهم وينصرهم على أعدائهم.

قال رسول الله ﷺ "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت" كذلك قول النبي ﷺ "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه، فإن الله قبل وجهِهِ، ولا عن يمينه، ولكن عن يساره، أو تحت قدمه" وقوله -صلى الله عليه وسلم- لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر، "أيها الناس، اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائبا، إنما تدعون سميعا بصيرا، إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"

في هذه الأحاديث إثبات معية الله تعالى لخلقه، فالله سبحانه وتعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، ومعية الله نوعان:

□مَعية عامة مع خلقه جميعاً، المؤمن والكافر، يُطعمهم ويسقيهم ويسوق إليهم الأرزاق، و مقتضى هذه المعية إحاطته سبحانه بخلقهِ وعلمه بأعمالهم.

□مَعية خاصة بعباده المؤمنين، ومقتضاها النصر والتأييد والحفظ، الله -عز وجل- مع المؤمنين ينصرهم ويؤيدهم و يحفظهم ويثبتهم على الإيمان والقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

مَعية الله لا تُنافي علو الله -عز وجل- على خلقه واستوائه على عرشه، وقد يسأل سائل كيف يكون ذلك؟

أولاً) أوضحت قبل ذلك لا يجب إدخال العقل مع مع صفات الله -عز وجل- فإن صفات المخلوق تقف عند حد معين، أما الخالق {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١] وكما أن سَمع المخلوق وبصرهِ يقف عند حدٍ معين، كذلك عقل المخلوق لا يستطيع استيعاب كل صفات الله -عز وجل- فلا تُدخل عقلك في ذلك، لأن عقلك لا يستطيع أن يصل إلى غيبيات الله -عز وجل-.

ثانياً) إن معية الله -عز وجل- لا تُنافي عِلوه سبحانه على خلقه واستوائه على عرشه، فإن قربه -سبحانه و تعالى- ومعيته ليس كقُرب المخلوق، ومعية المخلوق للمخلوق، فكما ذكرنا، {لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ} [سُورَةُ الشُّورَىٰ: ١١]

ثالثاً) المَعية لا تقتضي المُمَاسة أو المُحاذاة أو المُلامسة، فقد كان يقول العرب (ما زلنا نمشي والقمر معنا) مع أنه كان بينهم وبين القمر مسافات بعيدة، ومن ثم فإن معية الله لا تُنافي علوه -سبحانه وتعالى-.

(٧) إثبات الفرح لله -عز وجل- بما يليق بجلاله وكماله:

أيضاً من الصفات الفعلية إثبات الفرح لله -عز وجل- وأن الله يفرح ويضحك ويعجب، قال رسول الله ﷺ "للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ براحلته" فهذه تُثبت صفات الفرح لله -عز وجل-.

كذلك قال النبي ﷺ، "يضحكُ اللهُ سبحانه وتعالى إلى رجلين يقتلُ أحدُهما الآخرَ يدخلانِ الجنةَ، يقاتلُ هذا في سبيل الله فيُقْتَلُ، ثم يتوبُ اللهُ على القاتلِ فيُسْلِمُ فَيُسْتَشْهَدُ". لأن المقتول هذا قد قُتل مظلوماً، والقاتل وُفق إلى توبة نصوح بعد ذلك.

ومن الأحاديث أيضاً التي تُثبت ضحك وعجب الله -عز وجل- قول رسول الله ﷺ "عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب"

إذاً هذه الأحاديث تُثبت أن الضحك والفرح والعجب من الصفات الفعلية لله -عز وجل- ولكن بما يليق بجلاله وكماله.

(٨) إثبات صفة النزول لله عز وجل بما يليق بجلاله وكماله:

صفة النزول لله -عز وجل- من الصفات الفعلية، وقد جاء في الصحيح وغيره، عن النبي ﷺ "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له مَن يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له".

وفي رواية أُخرى يقول الله -عز وجل- "أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له. فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر".

وفي هذا الحديث الصحيح إثبات صفة من صفات الأفعال لله، وهي صفة النزول على وجهٍ يليقُ بجلاله وكماله سبحانه وتعالى، وكذلك في الحديث إثبات العلو لله -عز وجل- لأن النزول لابد أن يكون من الأعلى إلى الأسفل.

وقول السائل كيف ينزل؟ بمنزلة قوله كيف استوى؟
نحن لا نعلم كيفية صفات الله، لكننا نُؤمن بالصفات، لأن الله -عز وجل- أخبرنا بها في القرآن الكريم، والرسول ﷺ أخبرنا بها في سُنتهِ، فهو قادر على أن ينزل سبحانه وتعالى.

والبعض الآخر يسأل، هل ينزل ويخلو منه العرش؟
قادر-عز وجل- أن ينزل ولا يخلو من العرش، صفات الله -عز وجل- لا نقيسها بالمقاييس العقلية، فعندما يدخل العقل مع صفات الله -عز وجل- يُفسدها ويجعل الإنسان يبتعد وينحرف.

وذكرت قبل ذلك، ما ثبت عنه بالسند الصحيح أنَّ رجلًا جاء إلى الإمام مالك يسأله قال يا مالك: {ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} كيف استوى؟

قال سيدنا مالك: " الاستواء معلوم ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا امرؤ سوء" ؛ أخرجوا الرجل فإنه مبتدع ! "

جاء الاستواء في كتاب الله -عز وجل- في آيات كثيرة، والسؤال عنه بدعة، الإنسان يسأل عن أمر لا يمكن لأحد أن يعرفه، كيف نعرف كيف استوى الله -عز وجل- ونحن لم نرى الله -عز وجل- في الدنيا، ولم يصفه أحد لنا، فالسؤال عنه بدعة لأننا نسأل عن أمر غيبي لا يعرف أحد الإجابة عليه، وسوف أتحدث بإذن الله تعالى عن صفة الاستواء بالتفصيل في الدرس القادم.

- قال بعض أهل العلم إذا قال كَالجهمي كيف ينزل؟ فقل له إن الله أخبرنا أنه ينزل، ولم يُخبرنا كيف ينزل، فلا تدخل العقل مع أوامر الله، ولا تدخل العقل مع صفاتهِ سبحانه.

هم أَولوا النزول، فقالوا ينزل ملك من الملائكة، أو تنزل رحمة الله، مع أن الحديث صحيح صريح (ينزل الله كل ليلة) لم يقل ينزل مَلَك ولم يقل تنزل رحمته كما أولها الأشاعرة أو غيرهم، سبحان الله!

- رد البعض على شُبة تأويل الأشاعرة وغيرهم لِصفة نزول الله -عز وجل- بأن المقصود هو نزول مَلك، وهذا باطل، بأن الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنهار إلى الأرض كما في قوله تعالى، {يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ} [سُورَةُ النَّحۡلِ: ٢]

وفي الصحيحين، عن أَبي هُريرةَ وعن أبي سعيد، قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ "يَتَعَاقَبُونَ فِيكم مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وملائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيجْتَمِعُونَ في صَلاةِ الصُّبْحِ وصلاةِ العصْرِ" متفقٌ عَلَيْهِ.

- هذا الحديث يؤكد أنه لا يوجد تنافي بين نزول الله -عز وجل- نزولاً يليق بجلاله وعظمته، ونزول الملائكة، فالملائكة تنزل في أوقات متعددة، أما نزول الله تبارك وتعالى لا نستطيع أن نكيفه أو نتصوره.

- قيل في رد شُبهة نزول الله -عز وجل- أن الله تعالى يقول في الحديث "أنا الملك، أنا الملك، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له" فهل يُمكن لمَلكٍ أن يقول ذلك؟ بل هو الرب سبحانه وتعالى.

- لما نَفت الجَهمية صفة الكلام لله -عز وجل- وأن كلام الله لسيدنا موسى -عليه السلام- بأن الله -عز وجل- أمر مَلكاً من الملائكة كي يُكلمَ موسى، فقال لهم أهل السُنة والجماعة كيف يكون هذا وقال الله تعالى، {إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ} [سُورَةُ طه: ١٤]

تأمل خلق السماوات السبع، فالسماء الأولى بالنسبة للثانية كحبةٍ أُلقيت في فَلاة، وقال الله-عز وجل- {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٥] وإذا كانت هذه عظمة كرسي الله -عز وجل- فكم تكون عظمة عرشه الذي وصفه بأنه عظيم؟ وكم تكون عظمة الرب الذي استوى عليه -جلَّ جلاله-

قال النبي ﷺ "الكُرسِيُّ مَوْضِع القَدَمَين، والعَرْش لا يَقْدِرُ أحدٌ قَدْرَه". والواجب إثبات ما أثبته الله لنفسه من صفات في كتاب الله -عز وجل- وفي سُنة نبيه ﷺ دون إطلاق العقل في الغيبيات.

فكلما جاء أحدهم بدليل ينفوا به صفة من صفات الله -عز وجل- يُأتى بدليل حُجة عليهم، فلا يستطيعون أن يردوا عليه، فمثلاً في نفيهم صفة الكلام لله-عز وجل- جاءت عليهم الحُجة من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ، كذلك في نفيهم صفة النزول، جاء الرد عليهم بأن الذي ينزل هو الله وليس مَلك مُوكل بذلك.

- أما بالنسبة للشُبة الثانية في صفة النزول، على قولهم أن الرحمة هي التي تتنزل وليس الله -عز وجل- فكيف أيضاً للرحمة أن تسأل العِباد "من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له" كما لا يُمكن أن يقول ذلك المَلَك؟!

- كذلك كما ورد في الحديث أن النزول مُقيد بالسماءِ الدنيا؛ فإذا نُزلت الرحمة أُحتُجِزت في السماء الدنيا، فأي منفعة حصلت للعباد؟
والمعنى، أنه إذا نزلت الرحمة كما يَدَّعون إلى السماء الدنيا ومُسكت فيها، فما هي الفائدة التي سَتعود على العِباد من ذلك؟!

إن الحديث عن العلو والفوقية والارتفاع طويل، وسوف نتناوله في اللقاء القادم إن شاء الله تعالى.

(الدرس الحادي عشر)

(بعض الصفات والأفعال)

ما زال الحديث مَوصولاً عن صفات الله -عز وجل- الذاتية والفعلية. أسأل الله -عز وجل- أن يفتح علينا.

♦سأتحدث في هذا اللقاء عن:

- صفة الاستواء والفوقية لله -عز وجل-
- صفة الكلام لله -عز وجل-
- فتنة خلق القرآن، التي أثارها الخليفة المأمون الذي تأثر بالفلسفة؛ وثبات الإمام أحمد بن حنبل أمام تلك الفتنة.

من أراد فهم قضية فتنة خلق القرآن، فَليسير معنا في هذا الدرس، حتى يتعرف أولاً على صفة الكلام والاستواء بما يليق بجلال الله -عز وجل- وكماله، ثُمَّ يتعرف كيف بدأت فتنة خلق القرآن على يد الخليفة المأمون الذي تأثر بالفلسفة

في عصره، وكيف صَمَدَ وثَبُتَ الإمام أحمد بن حنبل ثُبوتاً شديداً أمام هذه الفتنة العظيمة.

الآن سوف نستكمل معاً الحديث عن صفات الأفعال لله -عز وجل- ومنها:

(٩) صفة الاستواء والفوقية لله -عز وجل-

يوجد في القرآن دلائل كثيرة على فوقية الله -عز وجل- على خلقه، والاستواء على عرشه، وكذلك في السُنة، علاوةً على أسماء الله الحُسنى الدالة على صفة العلو بجميع معانيها.

منها اسم الله -عز وجل- الأعلى والعَلي و المُتعال، واسم الله الظاهر واسم الله ٱلۡقَاهِرُ، قال تعالى، {سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى} [سُورَةُ الأَعۡلَىٰ: ١]، وقوله تعالى، {إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا } [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٣٤]
هذه الآيات فيها تصريح بالفوقية، وأن الله -عز وجل- فوقنا، قال تعالى، {وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ} [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٨]

وقال -عز وجل- {يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ} [سُورَةُ النَّحۡلِ: ٥٠] وقوله تعالى، {ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [سُورَةُ المُلۡكِ: ١٦] وهذا دليل على أن الله -عز وجل- في السماء.

{أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ} [سُورَةُ المُلۡكِ: ١٧] وقوله تعالى، {إِنَّ

ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٢٠٦]

وقال النبي ﷺ "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي" وهذا أيضاً على فوقية الله -عز وجل- وعلوه.

إذاً كل هذه الآيات وغيرها فيها إثبات الفوقية لله -عز وجل- و الصعود والعروج إليه، وفي رفع عيسى -عليه السلام- قال تعالى، {بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٥٨] والرفع يكون من أسفل إلى فوق، سبحان الله!

ومن الآيات التي تَدُل على علوهِ سبحانه، صعود الأعمال إليه، قال تعالى، {إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ }
[سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٠]

كذلك صعود أرواح المؤمنين إليه -عز وجل- كما في حديث البراء بن عازب الطويل "فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان" كذلك معراج نبينا ﷺ إلى سِدرة المُنتهى، إلى حيث شاء الله -عز وجل- وقد أثبتت ذلك الأحاديث الصحيحة المشهورة، والمعراج هو الصعود والارتفاع.

ومما دل على فوقية الله -عز وجل- وعلوه، إشارة النبي ﷺ في خطبته في حَجة الوداع بأصبعه إلى السماء دليل صريح على أن الله في العلو، كل هذه أدلة على علو الله -عز وجل- وفَوقيته.

أيضاً ما يدل على علو الله -عز وجل- ما خصه في قصة تكليم موسى، حين تجلى للجبل فاندك، فلو كان الله -عز وجل- مُتجلياً لكل شيء، لجعل كل شيءٍ دكا، ه كما جعل الجبل دكاً.

إن العقيدة والتوحيد أمر فطري وُلد عليه الإنسان، فعندما سأل الرسول ﷺ الجارية أين الله؟ قالت في السماء؟ ثم سألها ﷺ من أنا؟ قالت أنت رسول الله، قال أعتقها فإنها مؤمنة، سبحان الله!

فسر العلماء كلمة (في السماء) في قول الله -عز وجل- {ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ} [سُورَةُ المُلۡكِ: ١٦] وفي قول الجارية لرسول الله ﷺ (في السماء) على تفسيرين:

التفسير الأول: بمعنى على أو فوق أي أن الله -عز وجل- في السماء أو فوق السماء.

التفسير الثاني: على أنها مصدر وليست مكان مخلوق، أي أنه ليس مكان فيه العلو، فمثلاً عندما نقول فلان في العِز والغنى، فهذا يدل على علو مكانته، وليس بمعنى أن العِز والغنى مكان موجود فيه؛ وهنا معنى أن الله (في السماء) دليل على عظيم مكانة الله -عز وجل- وعلوه.

□والتفسير الأول أصح أن (في السماء) تُعني على أو فوق، مما يُثبت علو الله -عز وجل-

جاء قول الله -عز وجل- {ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [سُورَةُ طه: ٥] وقال سبحانه، {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف:٥٤] ذكر هذا سبحانه سبع مواضع في القرآن الكريم، وأنه فوق العرش، جل وعلا، مما يُثبت صفة الاستواء لله -عز وجل- وهي من الصفات الفعلية لله.

فسر السَلف كلمة (ٱسۡتَوَىٰ) على أنها ارتفع وعَلَىَ وصعد، والبعض فسرها بمعنى استقر ولا يصح هذا، ولم تُذكر استقر في نصوص الكتاب والسُنة، كما قال مُجاهد وغيره من السلف، أن (ٱسۡتَوَىٰ) جاءت بهذه المعاني الثلاثة،عَلَىَ وارتفع وصعد .

إذاً هناك علو خاص على العرش بالإضافة إلى العلو العام على جميع المخلوقات؛ وأن صفة الاستواء والفَوقية تُثبت علو الله -عز وجل- على خلقهِ.

✳أقسام علو الله -عز وجل-:

□ علو الشأن: أن الله -عز وجل- له الشأن العظيم، وهو سبحانه الملك القدوس الذي بيده خزائن السماوات والأرض، قال تعالى، {وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ} [سُورَةُ المُنَـٰفِقُونَ: ٧]

□ علو الفوقية أو الذات: أن الله -عز وجل- فوقنا على العرش، قال تعالى، {ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} [سُورَةُ طه: ٥]

□ علو القهر :وهو علو قهر، قال تعالى، {وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ} [سُورَةُ الأَنۡعَامِ: ١٨] فهو يعز هذا ويَذل هذا، يُعطي هذا ويَمنع هذا، سبحانه له تمام القهر والغلبة على عباده.

♦الخلاصة:

الاستواء والعلو والفوقية من صفات الأفعال لله -عز وجل- وكما قال السلف فإن (ٱسْتَوَىٰ) بمعنى عَلا وارتفع وصعد، وأن الفوقية تُعني أن الله -عز وجل- فوق عباده يُعطي ويُمنع عمن يشاء، فيجب علينا أن نؤمن بأن صفة الاستواء والفوقية والعلو ثابتة لله -عز وجل-.

إذا أردت أن تتوسع في جانب تزكية النفس، استمع إلى شرح اسم الله المُتعال، واسم الله العلي حتى تدرك مدى علو الله -عز وجل- فَيَتيَقن قلبك بهذا سبحان الله!

نحن نقول في السجود (سبحان ربي الأعلى) ولو استحضرها العبد في كل سَجدة، لخافَ العبد وَجلاً وتعظيماً لله -عز وجل- وترك الانشغال بأمور الدنيا، واستحضر سجود القلب، فأفاض على قلبه الذلَّ والانكسار بين يدي العزيز الجبار.

أسأل الله -عز وجل- أن يُذهب قسوة القلوب التي تُعِيقنا عن تدبر أسماء الله الحُسنى، وتُعيقنا عن استحضار سجود القلب، قيل لبعض العارفين أيسجد القلب؟ قال: نعم، يسجد سجدة لا

يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء، فهذا سجود القلب. أسأل الله- عز وجل- أن يُحييَ قلوبنا الموت.

 قول المعتزلة والأشاعرة على قوله تعالى، {ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ}

 قالوا (ٱسۡتَوَىٰ) بمعنى استولى تحريفاً للمعنى، هم اثبتوا اللفظ، لأنهم لا يُريدون أن يثبتوا لله العلو والفوقية، فقالوا لا يجوز أن يُوصَف الله بِالإستواء والفوقية لأن فيها مُشابهة المخلوق.

سبحان الله! بل من جمال الكمال أن يكون الله -عز وجل- عالٍ على خلقه مستوٍ على عرشه. فسبحان الله!

الاستيلاء يأتي بعد تنازع شخصين على أمر ثم الاستيلاء عليه، وهذا المعنى لا يناسب معنى كلمة (ٱسۡتَوَىٰ) في اللغة، والاستواء لا يَرِدُ بمعنى الاستيلاء في كلام العرب إطلاقًا، والقرآن إنما نَزَل بلسانهم
إذاً هذا باطلاً وتحريفاً لمعنى الآية.

الرد على هذه الشبهة:

لا يجب إدخال العقل في الغيبات، وإن الهداية واليقين إنما هما نعمة من الله -عز وجل- يرزقها لمن يشاء؛ فقد تجد من هو أقل منك علماً وعقلاً ولكن فتح الله عليه ورزقه اليقين.

ذكرنا أن أئمة التفسير قالوا إن (ٱسۡتَوَىٰ) بمعنى عَلَىَ وارتفع وصعد، فالله -عز وجل- عالٍ على خلقه جميعاً، مستوٍعلى العرش، وأن هناك علو خاص بالله -عز وجل- على العرش؛ وعلوه عام على جميع مخلوقاته.

استواء الله جل في عُلاه على عرشه استواء يليق بجلالهِ سبحانهِ، ليس كاستواء المخلوقين

قال تعالى، {وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٢٥٥] تأمل خلق السماوات السبع! فالسماء الأولى بالنسبة للثانية كحبةٍ أُلقيت في فَلاة، وإذا كانت هذه عظمة كرسي الله -عز وجل- فكم تكون عظمة عرشه الذي وصفه بأنه عظيم؟ وكم تكون عظمة الرب الذي استوى عليه -جلَّ جلاله-

الاستواء لا يَرِدُ بمعنى الاستيلاء في كلام العرب إطلاقًا، والقرآن إنما نَزَل بلسانهم،
واحتج المعتزلة والأشاعرة ببيتِ شعر لِلأخطل النصراني -شاعر نصراني- لا يُحتج بشعرهِ، قال:

قد استوى بشرٍ على العراقِ
من غير سيف أو دم مِهرَاقِ

أول من قال بتفسير (ٱسۡتَوَىٰ) أي استولى هم الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم، وهذا مردود، لأنه مُخالف لتفسير الصحابة وتفسير مجاهد وابن عباس، وأئمة الصحابة والتابعين.

لو كان هذا تأويل لا دليل عليه فلا يُقبل أصلاً، لأنه لابد لكي يُحمل الكلام على هذا المعنى المَرجوح من دليل.

وفي قوله {ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ} فإن الفعل استولى يقتضي وجود مُنازعة وتَشاجر، وحاشا لله -عز وجل- أن يُنازع أحداً من خلقه حتى يستولى على شئ، وهذا لا يليق مع الله -عز وجل- ولم يكن العرش في مُلك الله ثم استوى الله عليه بعد المنازعات.

إن خلق العرش كان قبل خلق السماوات والأرض، قال تعالى، {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [يونس:٣]، فهل كان أحد يملكه قبل خلق السماوات والأرض ثم استولى الله -عز وجل- عليه؟ نعوذ بالله من هذا القول.

لو كان المراد بالاستواء الاستيلاء على المُلك، لم يكن هناك فرق بين العرش والأرض السابعة السُفلى والدواب وجميع المخلوقات؛ لأنه مستولى ومالك للجميع، فلا يكون لذكر العرش فائدة.

ولماذا لم يقل الله: إن الله استَولى على الأرض أو على السماء السابعة مثلاً، واكتفى -عز وجل- بذكر العرش دون ذكر أي شيء آخر.

إن هذا اللفظ {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} قد أتى كثيراً في الكتاب والسُنة، ولم يأتي في مرة واحدة، بل جاء سبع مرات في كتاب الله -عز وجل- بلفظ (اسْتَوَى) ولم يأتي ولا مرة بلفظ استولى .

قال الله -عز وجل- {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، استخدم لفظ (ثُمَّ) التي تُفيد الترتيب والمُهلة، فلو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء على العرش والقدرة عليه، لم يتأخر ذلك ولم ينتظر الله بعد خلق السماوات والأرض حتى يستولي على العرش.

فكان الأولى به سبحانه أن يستولى على العرش ثم يخلق السماوات والأرض، ولم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السماوات والأرض، فإن العرش كان موجودا قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ثبت في ذلك الصحيحين، فكيف يجوز أن يكون غير قادراً على أن يستولي على العرش إلا بعد خلق السماوات والأرض، فهذا أبطل الباطل، استغفر الله العظيم، وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

يقول الشيخ الشنقيطي (ما أشبه اللام التي زادها هؤلاء بقوله (اسْتَوَى) فقالوا استولى، بالنونة التي أضافها اليهود وزادوها في قول الله {وَقُولُواْ حِطَّةٌ} استهزأوا بأمر الله)

أي أن اللام التي زادها المعتزلة والأشاعرة على لفظ (اسْتَوَى) فجعلوها استولى مَثَلُها مثلما فعل اليهود عندما حرفوا كلام الله تعالى في قوله {وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ٥٨] أي أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته؛ فجعلوها حنطة، وزادوا حرف النون، و الحِنْطَةٌ حَبَّةٌ حَمْرَاءُ فِيهَا شُعَيْرَةٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ، {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} فًاستهزأ اليهود بأمر ربنا.

فبَدَّلُوا أَمْرَ اللَّهِ لَهُمْ مِنَ الْخُضُوعِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، فَأُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا سُجَّدًا، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ على اسْتَاهِهِمْ -أي مقاعدهم- رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ، وَأُمِرُوا أَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ، أَي: احْطُطْ عَنَّا ذُنُوبَنَا، فَاسْتَهْزَؤُوا فَقَالُوا: حِنْطَةٌ، وَهَذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْمُعَانَدَةِ؛ وَلِهَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَأْسَهُ وَعَذَابَهُ بِفِسْقِهِمْ، وَهُوَ خُرُوجُهُمْ عَنْ طَاعَتِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ، {فَأَنزلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}

إذا في قوله {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، الاستواء صفة فعل، فبعد خلق السماوات والأرض استوى الرب على العرش، عَلى وارتفع وصعد على عرشه، لأن هذا العرش عظيم وكريم، فكرمه الله -عز وجل- بأن خَصهُ بالاستواء عليه.

لذلك قال مُجاهد (عَلى على العرش، ولم يزل سبحانه وتعالى هو العَلي العظيم ولكن خص العرش بفعل هو فعل الاستواء، أن الله ارتفع وصعد وعَلى على عرشه كما يليق بجلاله).

□لذا لا يجب أن نسأل عن كيفية استوائه وعلوهِ سبحانه وتعالى:

□ لأن عدم رؤية الله عز وجل في الدنيا قد تكون اختباراً لنا.

□ قال الإمام مالك بن أنس، (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا امرؤ سوء)

والمعنى أن الاستواء معلوم لغةً عند العرب، والكيف مجهول لأننا لا نعلم كيف الله فكذلك لا نعلم كيف صفاته سبحانه وتعالى، والإيمان به واجب لأنه أثبت في القرآن والسُنة، والسؤال عنه بدعة أي أن السؤال عن كيفية الاستواء بدعة، فلا يجب السؤال عن الغيبات.

سبحان الله! أراد هؤلاء نفي كل الصفات التي أثبتها الله -عز وجل- على نفسهِ في القرآن الكريم، وأثبتها النبي ﷺ في السُنة، فماذا أثبتوا وماذا يعبدون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١٠) إثبات صفة الكلام لله عز وجل:

صفة الكلام من صفات الأفعال وصفات الذات التي أثبتها الله -عز وجل- على نفسه، وكذلك أثبتها النبي ﷺ في السُنة، قال تعالى، {وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا} [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٦٤]

- صفة الكلام هي صفة ذات لأنها ثابتة في ذات الله -عز وجل- كما أن الحياة صفة ذاتية لله -عز وجل- فلا نقول إن الله حي إذا شاء، استغفر الله، فهي صفات ذات لا تتعلق بالقدرة والمشيئة.

- صفة الكلام كذلك صفة أفعال لأن الله -عز وجل- يُكلم من يشاء من عباده بما شاء وقتما شاء؛ ولا يُكلم من يشاء، لذلك هي صفة فعلية تتعلق بالقدرة والمشيئة.

قال تعالى، { وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ} [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ١٤٣] وقوله تعالى، { وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ } [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: ١٠] وقوله تعالى، {وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ} [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٢٢] وقوله -عز وجل- {حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ } [سُورَةُ سَبَإٍ: ٢٣]

حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء"
الحديث يُثبت الكلام والنداء لله -عز وجل-.

ومن السُنة أيضاً قول رسول الله ﷺ "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان"

فالقرآن الكريم مليء بالأدلة على ثبوت صفة الكلام لله -عز وجل- كقوله،
{وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ} [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١٢٨] وقوله، {قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ: ١٠٨]
وقول الله -عز وجل- لأهل الجنة {سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ} [سُورَةُ يسٓ: ٥٨]

قال الإمام الطحاوي مُبيناً عقيدة أهل السنة والجماعة (وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر؛ حيث قال تعالى، {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر:٢٦] ، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر:٢٥] ، علمنا وأَيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر فمن أبصر فقد اعتبر، ومن مثل قول الكفار أضجر، وعلم أنه بصفاته ليس كالبشر)

إذاً الكلام صفة لله -عز وجل- يليق بكمال وجهه وعظيم سلطانه، كلام الله ليس كلام البشر، واستوائه وعلوه ليس كاستواء وعلو البشر، فَالأدلة من القرآن كثيرة ومتواترة، سبحان الله! قال تعالى،

{الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [سُورَةُ هُودٍ: ١] وقولهِ تعالى، {أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ} [سُورَةُ الأَنْعَامِ: ١١٤] وقال -عز وجل- { وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ } [سُورَةُ التَّوۡبَةِ: ٦]

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ "إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللَّهِ في شئٍ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ" إن أحسن الكلام في الصحيح أيضاً كلام تعالى، قال خبّاب بن الأرت رحمه الله لرجل، (تقرب إلى الله تعالى ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه)

وقال عثمان بن عفان -رضي الله عنه- "ما أحب أن يأتي علي يوم وليلة حتى أنظر في كلام الله -عز وجل-" أي القراءة في المصحف.

قال عبد الله بن مسعود -رضى الله عنه- "من كان يحبُّ أن يعلم أنَّه يحبُّ الله عز وجل، فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحبَّ القرآن، فهو يحبُّ الله تعالى؛ فإنَّما القرآن كلام الله "

إذاً القرآن كله وقصصه وألفاظه تشهد أنه كلام الله وتنزيله؛ القرآن كلام الله -عز وجل- وليس من كلام البشر، والله -عز وجل- له صفة الكلام وهي صفة ذات وصفة فعل كما أن له صفة العلو والاستواء.

أراد المعتزلة والأشاعرة أن ينفوا صفات الله وإحداث فتنة، وبالفعل حدثت فتنة عظيمة في في بلاد الإسلام، حتى أن المأمون كان يأمر أن يُكتب على جدران المساجد (سبحان الله ولا إله إلا الله رب القرآن المخلوق) أو يُكتب (أشهد أن لا إله إلا الله، محمد رسول الله رب القرآن المخلوق).

كيف بدأ الأشاعرة والمعتزلة يجهزون لهذه الفتنة؟ ما هي الفتنة التي تعرضت لها الأمة، وما موقف العلماء في هذه الفتنة؟ وما هو موقف الإمام أحمد بن حنبل في هذه الفتنة؟ هذا ما سوف نأخذهُ بالتفصيل في الدرس القادم إن شاء الله.

أسأل الله -عز وجل- أن ينفعنا بالعلم وأن يرزقنا عقيدة راسخة وإيماناً لا يرتد. أسأل الله -عز وجل- أن يجعل هذه

الكلمات فيها ميزان حسنات آبائنا وأمهاتنا وأن. يجزيهم عنا خير ما

يتبع هذا الملف ملف العيش مع الله بأسمائه وصفاته .